مجلة جامعة الملك سعود، ٢١م، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٣)، ص ص ٥٣٩-٥٨٠، الرياض (٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ)

بنية الشّخصية الإنسانيّة ومحدّداتها وسماتها عند ابن تيميّة

عدنان مصطفى خطاطبة

أستاذ مساعد - قسم الدراسات الإسلامية - تخصص التربية الإسلامية

كلية الشريعة - جامعة اليرموك - إربد - الأردن

(قدم للنشر في ٤/ ١٤٢٨/٤هـ؛ قُبل للنشر في ٥/٩ /١٤٢٨هـ)

الكلمات المفتاحية. الشخصية الإنسانية، ابن تيمية، التربية الإسلامية.

ملخص البحث. هدفت الدراسة إلى بحث موضوع الشخصية الإنسانية عند ابن تيمية من منظور نفسي إسلامي، وذلك من خلال مباحثها الثلاثة؛ حيث درس مبحثها الأول بنية الشخصية، والتي تحدّدت بأمرين، الأول: بفهم دلالات عناصرها (النفس والروح والعقل والقلب) وطبيعة العلاقة بينها من عموم وخصوص وترادف، والثاني: بمعرفة مكوّناتها، والتي تمثّلت بمكوّنين أساسيين: المكوّن المادّي، والمكوّن الروحي والذي يحتلّ المكانة الأهم، وهما ممتزجان، وبمجموعهما وتفاعلهما تتكوّن الشخصية ويفهم سلوكها. ودرس المبحث الثاني محدّدات الشخصية، وتبيّن أنّها تتأثر بعوامل داخلية وأهمها الفطرة، وبعوامل خارجية (البيئة) وأهمّها التعليم، وأنه بتفاعلها معاً ومع الموقف يتكوّن السلوك. ودرس مبحثها الثالث سمات الشخصية وقواها وأنماطها، وتوصّل إلى وجود سمات عامّة للشخصية؛ كسمة الافتقار والحريّة والتعجّل والبيان، وسمات إيجابية وسلبية؛ كسمة الشجاعة والعفّة والشحّ والجبن، وبوجود ثلاث قوى للشخصية: العقلية والغضبيّة والشهوية، والتي بها كانت الفضائل ثلاثاً: العلم والشجاعة والعفّة. وبتفاعل السمات والقوى مع الموقف يتحدّد نمط السلوك. ولذا وبحسب المعيار العقدي كانت أنماط الشخصية ثلاثة: المؤمنة والمنافقة والكافرة، ولكلّ سماتها ومراتبها التي تنتقل فيها، وهو ما يؤكّد فكرة الثبات النسبي في الشخصية، الأمر الذي يعني إمكان تعديل سلوكها.

المقدمـــــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنّ عالم الإنسان ينطوي على كنوز معرفية عميقة. أودعها فيه خالقه سبحانه وتعالى، وكشف له عن طرفٍ منها وترك له أكثرها ليكتشفها بآلياته العلمية المتاحة سواء بالنظر والتأمّل أم بالتجريب أم باستلهام الوحي الإلهي.

ولا شك أنّ الوحي الإلهي يعدّ في التصوّر الإسلامي مصدراً علمياً أصيلاً، ينطوي على جملة من المعارف المهمّة التي تتعلق بالشّخصية الإنسانية، والتي إذا ما أحسن استنباطها والتعامل معها منهجياً وعلميا، فإنّها ستقود إلى نتائج نفسية دقيقة؛ تسهم في تطوير الذات الإنسانية وإتقان أدائها ووظائفها، وتؤدّي دورها المحوري في بناء الشّخصية الإنسانيّة المتوازنة، والمتكاملة مجتمعيا، والمنسجمة عقائدياً مع الغايات الشرعية من وجودها.

مشكلة الدراسة

إنّ مقصود التربية يتمثل في بناء الشخصية السّوية وتعديل السّلوك الإنساني؛ لذا كثرت النظريات التي تعالج هذا الموضوع من زواياه المختلفة، وأصبح "من الموضوعات العمد في علم النفس الحديث هو علم نفس الشخصية إلى الحدّ الذي جعل كبرى الجامعات تتخذ منه مادة أساسية في مناهج الدراسة لها" (العيسوي، ٢٠٠٢، ٩)، تدرس الشخصية من حيث مفهومها وتكوينها وتطوّرها والعوامل المؤثرة فيها، وسماتها وقدراتها واتجاهاتها(العيسوي، ٢٠٠٢، ٩). ولّما كان "علم النفس بشخصيته الجديدة هذه هو بصفة جوهرية من إنتاج المؤسّسة الأكاديمية الغربية، وهذا ما لا يتوقع أن يختلف فيه اثنان من المختصين"(طه، ١٩٩٧، ٢١٣)، ولّما كان الأساس في نظريات الشخصية يقوم على فهم الإنسان، ولكل تيار في علم النفس فلسفته الضمنية الخاصّة به عن الإنسان، (توفيق، ١٩٩٨، ١٢١)، فإنّ الاختلاف بين الاتجاه الإسلامي والوجهات الغربية في هذا الحقل المعرفي يبدأ من الاختلاف حول مفهوم الإنسان. ينقل أستاذ علم النفس الإسلامي الزبير بشيرطه عن كيركارين، مشخصاً جانباً مهماً من أوجه هذا الاختلاف قوله: "إنّ مشكلات علم النفس المعاصر ترجع في المقام الأول إلى الفترة التي تمّ فيها فرض مفهوم الإنسان على أنه مادّي وخالٍ من الروح"(طه، ١٩٩٧، ٢٢٣) وكان لإغفال علماء النفس المحدثين الجانب الروحي من الإنسان في دراساتهم للشخصية قد أدّى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، وقد لاحظ "إريك فروم" المحلل النفسي قصور علم النفس الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهماً صحيحاً بسبب إهماله دراسة الجانب الروحي في الإنسان(نجاتي، ٢٠٠، ١٩٨-٢٠١). وهذا من شأنه أنْ يعطي صورة غير واضحة عن الشخصية

الإنسانية. والذي " يتمعن في نظريات الشخصية سيجد نظرية تؤكد على الجانب الغريزي في الإنسان في مقابل أخرى تؤكّد على الجانب الاجتماعي منه، ونظرية تشدّد على حرية الإرادة مقابل أخرى تشدّد على الحتمية، ونظرية تنظر للإنسان على أنّه عاقل مقابل نظرية تنظر للإنسان على أنّه كائن مدفوع غير عقلاني". (صالح، ١٩٩٨، ١٨).

ولذلك حين "نعْرف حقيقة النفس الإنسانية- بقدر ما نستطيع – فسوف يساعدنا ذلك على إنشاء نظم وأفكار وسلوك ومشاعر، تتفق مع هذه الحقيقة ولا تصادمها، ولا تتعارض معها، وعلى تربية أجيال من النّاس بمقتضى الفطرة الصحيحة كما خلقها الله". (قطب، ١٩٩٣، ١٢).

وحديثاً فقد " جهر بعض علماء النفس المعاصرين الحادبين في البيئة الإسلامية، جهروا بما قد يعتمل في نفوس الكثير من المخلصين من أهمية تطوير مفاهيم سيكلوجية أصيلة تستمد قوّتها الدافعة المحركة من جذور التراث النفسي الإسلامي لتناهض المدّ النفسي الغربي السائد"(خوجلي، ٢٠٠١، ٧)، فالتراث العربي والإسلامي المليء بالحقائق والمعلومات والخبرات النفسية والتربوية والاجتماعية، لم ينل حقّه من البحث والدراسة(عبد العزيز، ١٩٩٧، ٩).وهذا يتطلب جهداً كبيراً تتكامل فيه جهود الباحثين والمؤسّسات العلمية والبحثية في سبيل إعادة قراءة المخزون التراثي النفسي، قراءة علمية واعية نقدية، للخروج بمجموعة من الآراء والأفكار

والتوجهات وبصورة تتفاعل فيه وتتكامل مع المعطيات الحديثة في ميدان علم النفس بما يؤدّي إلى تكوين نظريات نفسية إسلامية في ميدان الشخصية الإنسانية وغيرها، تعبّر عن الوجهة الإسلامية في تربية الإنسان والمجتمع تربية متزنة وبناء السلوك السوي.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة، لتقدّم قراءة نفسية في أحد أعمدة التراث الإسلامي ومدارسه المعتبرة، مدرسة ابن تيمية التي قامت على الأصول الإسلامية المتكاملة فكراً ومنهجاً للوقوف على رؤيته في أهمّ موضوع يشغل علم النفس والتربية، موضوع الشخصية الإنسانية، وكما يرى "عرسان الكيلاني" فإنّ "كثيراً من أفكار ابن تيمية في التربية يمكن أنْ ترفد الفكر التربوي المعاصر على المستوى العالمي، ومن ذلك أفكاره التي تقرر أنّ نفس الإنسان يمكن تطويرها وتشكيلها عن طريق التربية، بحيث يمكن الارتقاء بالفرد إلى أعلى درجات الإنسانية" (عرسان، ١٩٨٥، ١٩٧).

وفي سبيل تحقيق الدراسة لهدفها فإنها ستسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية :

١- ما بنْية الشّخصية الإنسانية ؟

٢- ما محدّدات الشّخصية الإنسانية ؟

٣- ما سمات الشّخصية الإنسانية ؟

أهمية الدراسة وأهدافها

تظهر أهمية الدراسة من كونها تبحث جوانب أساسية في نظرية الشّخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، وتكشف عن آفاق علم النفس الإسلامي في فكر أحد أعلام المسلمين من ذوي الرؤية الإسلامية الواسعة.

وقد تحددت أهداف الدراسة بالآتي:

١- تعريف دلالات المفاهيم الأساسية لعناصر الشّخصية الإنسانية، وتحديد مكوناتها.

٢- توضيح العوامل المؤثرة في الشّخصية الإنسانية.

٣- بيان سمات الشخصية وقواها وأنماطها، ومعالجة قضية الثبات والتفاعل مع الموقف.

ولعلّه من المناسب الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة بالنظر إلى السياق التنظيري الإسلامي العام في ميدان علم النفس، فإنّها تقع ضمن جهود التأصيل الإسلامي للمعارف النفسية أو ما يعرف بأسْلمة المعرفة. والتي يقصد بها "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان"(خليل، ١٥، ١٩٩١). وهي لا تعني بحال مجرّد إضافة عبارات دينية " إلى مباحث العلوم الاجتماعية والإنسانية باستمداد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات العلم المقصود أسلمته، بل هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للعلوم وقوانينها" (خليل، ١٩٩١، ٨-٩).

إنّ " التأصيل الإسلامي لعلم النفس جزء من المشروع الحضاري الكبير الذي ينهض الفكر الإسلامي الحديث بإنجازه وهو "إسلامية المعرفة"(توفيق، ١٩٩٨، ١١١). وممّن تبنى خطّ الأسلمة أو التأصيل المعهد العالمي للفكر الإسلامي والذي أنشئ مع بداية القرن الخامس عشر هجري (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، والذي وضع خطّة شاملة لتحقيق القضيتين اللتين تبناهما، وهما: إصلاح مناهج الفكر الإسلامي، وإسلامية المعرفة (المعهد العالمي، ١٩٨٧، ٣١)، وله عدد من الدراسات في شكل سلاسل، منها: سلسلة إسلامية المعرفة، وسلسلة قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، والمجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية، وكما يقوم بجهود كبيرة في عقد الندوات والمؤتمرات، وتأليف الكتب والموسوعات، ونشر الأبحاث والرسائل العلمية التي تخدم الفكر الإسلامي وقضية التأصيل الإسلامي وإسلامية المعرفة.

وعملية أسلمة المعرفة تتحرك على محورين أساسيين، **أحدهما**: تنظيري؛ يتولّى التعريف بالمصطلح وضروراته، ويصنف حلقاته ويلقي الضوء على التراث المعرفي الإسلامي، ومتابعة المعطيات الإسلامية الحديثة، وتصنيفها لكي تعين وترفد عملية الأسلمة، **والثاني**: تطبيقي حيث يتم معالجة كل فرع من فروع المعرفة البشرية الإنسانية والصرفة والتطبيقية لكي تصاغ توجهاتها الأساسية ومفرداتها التفصيلية وفق المنظور الإسلامي"(خليل، ١٩٩١، ١١-١٢).

وفيما يتعلق بمشروع التأصيل الإسلامي في مجال الدراسات النفسية، فقد فرض نفسه حينما بدأ الباحثون المتخصّصون الذين جمعوا إلى ثقافاتهم السيكولوجية الثقافة الإسلامية نقدهم لعلم النفس الحالي وأزمته بصفة عامة لا جزئية فقط، وأخذ ذلك المسار شكل مقالات وكتب وندوات ومؤتمرات؛ فمن الكتب: *نحو علم نفس إسلامي* لحسن الشرقاوي، *وملامح علم النفس الإسلامي* لمحمد عمر، *وسلسلة الدراسات الإسلامية* لسيد مرسي، وغيرها كثير، ومن الندوات: ندوة الإسلام وعلم النفس التي نظمتها جامعة الملك سعود، وندوة نحو علم نفس إسلامي التي نظمتها الجمعية العربية للتربية الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي والمؤتمر العالمي في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية في جامعة الخرطوم وغيرها. ومن المعاهد والجمعيات والمنظمات التي تهتم بهذا المشروع، إضافة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي: الجمعية الإسلامية للصّحة النفسية في القاهرة، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ومركز التربية العربي لدول الخليج، إضافة لتبنّي كثير من الجامعات مقررات للدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي في أقسام علم النفس(توفيق، ١٩٩٨، ٢٠-٣٠).

وتتطلب جهود إصلاح مناهج الفكر الإسلامي وتحقيق إسلامية المعرفة جميع مسارات العمل ومجالاته المترابطة المتكاملة، ومن ذلك التمكنّ من التراث، إذْ يشكل الدعامة الرئيسة لبناء إسلامية المعرفة، وهو ممّا يشمله فكر علماء الأمّة ومفكريها وقادتها المصلحين على مرّ العصور، ونتاجهم في مختلف مجالات المعرفة (المعهد العالمي، ١٩٨٧، ٤١، ٣٤) (العلواني، ١٩٩٥، ٣٩-٤٠)، ولكن لا بدّ من دراسة تراثنا الإسلامي وقراءته القراءة العلمية التحليلية النقدية، للإفادة من معطيات العقلية الإسلامية في جانبيها المنهجي والمعرفي بما يخدم قضايا الفكر الإسلامي المعاصر وتفاعلاته الحضارية. وقد كان لمحور هذه الدراسة نصيبها الوافر من اتجاه التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على دراسة علمية عالجت نظرية الشّخصية الإنسانية عند ابن تيمية من منظور إنساني (نفسي) إسلامي. ولكن هناك عدد من الدراسات تلتقي جزئياً مع دراسة الباحث ومنها:

١- دراسة عفيفي بعنوان النظرية الخلقية عند ابن تيمية. الدراسة في بحث النظرية الخلقية في فكر ابن تيمية، والجانب الذي يتصل منها بدراسة الباحث؛ هو آراء ابن تيمية في اتصاف الإنسان بخاصية الحرية والإرادة والفاعلية، وعدد آخر من السّمات مثل: التجبر، والضعف، والجبن، والبخل، وتحديده لمكونات الإنسان بالبدن والروح(عفيفي، ١٩٩٨م، ٢٤٩-٤٤١).

٢- دراسة الغامدي بعنوان موقف شيخ

الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة. ناقشت الدراسة موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة في مختلف ميادينها، ومنها الفلسفة الطبيعية والتي عرضت فيها إلى موقفه من النفس الإنسانية وأحوالها، والتي تلتقي فيها دراسة الباحث في عرض آرائه في مفهومي النفس والعقل وأدلتهما والعلاقة بين البدن والروح.(الغامدي، ٢٠٠٣، ٥١٨-٥٣٩).

٣- دراسة النحلاوي عن أعلام التربية (ابن تيمية). عرضت الدراسة لآراء ابن تيمية التربوية، ومن بين تلك الآراء نظريته في الفطرة ومبادئه في التربية حيث تلتقي بذلك مع دراسة الباحث في جانب من موضوع سمات الشخصية ومحددتها حيث تناولت موضوع الفطرة عند ابن تيمية. (النحلاوي، ١٩٨٦، ٦٤، ٨٨).

٤- دراسة نجاتي بعنوان الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين. تناولت الدراسة المفاهيم النفسانية عند عدد من الفلاسفة والعلماء، ومن بينهم ابن تيمية، حيث عرضت لآرائه في النفس والروح والحاجات الإنسانية والسلوك. وتلتقي دراسة الباحث مع هذه الدراسة في تناولها لمفاهيم النفس والعقل والروح عند ابن تيمية(نجاتي، ١٩٩٣، ٢٦٧-٢٨٠).

٥- دراسة إسماعيل بعنوان من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي. تناولت الدراسة عدداً من الدراسات النفسية عند عدد من العلماء، وهم: ابن مسكويه، وابن حزم، والهروي، وابن القيم. ورغم أنّ هذه الدراسة لم تتضمن "ابن تيمية" من بين أعلامها المختارين، إلا إنها تلتقي مع دراسة الباحث في توجهاتها البحثية، حيث ركزت في جانب منها وعند عالمين اثنين (ابن مسكوية وابن حزم) على بحث موضوع الشخصية من حيث سماتها، بأنْ أوردت عدداً من هذه السّمات التي تتصف بها الشخصية الإنسانية من وجهة نظر كل منهما، فتحت عنوان "صفات الشخصية الإنسانية" عند ابن مسكويه أوردت عدداً من الصفات (السّمات) منها: الحكمة، والعفّة، والحرية، والسخاء، والانتظام، والشجاعة، والهمّة، والعدالة وغيرها، وتحت عنوان "سمات الشخصية" عند ابن حزم ذكرت عدداً منها مثل: العقل، والحمق كسمة مضادة، والدهاء، والحرص، والجبن، وغيرهما، وكل ذلك تحت تقسيمات لها معينة (إسماعيل، ٢٠٠١، ١٥-٨٠). وفي ذلك توافق في عدد من السمات بين ابن تيمية التي وردت في دراسة الباحث وبين ما أوردته هذه الدراسة عند ابن حزم وابن مسكويه.

وقصد الباحث من إيراد هذه الدراسة وذكر هذا التفصيل، إضافة لبيان التوافق المذكور، التأكيد على أنّ دراسة الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي من منظور "السّمات"، هو اتجاه له حظّه واهتمامه عند الباحثين في الدراسات النفسية الإسلامية، ولعلّه يقود في نهاية المطاف إلى تكوين نظرية في سمات الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، وتكون دراسة الباحث

المقدّمة عن ابن تيمية إحدى روافد ذلك الاتجاه.

وكما يلحظ فإنّ مجمل الدراسات السابقة تتفق مع دراسة الباحث في تناولها لجانب من عناصر الشخصية ومحدّداتها وعدد من سماتها بشكل مستقل. ولكن دراسة الباحث تبحث هذه العناوين إضافة - كما هو في خطتها- في إطار نسقي يسعى لتكوين نمط معرفي متكامل إلى حدّ ما في منظور ابن تيمية للشخصية الإنسانية.

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على بحث نظرية الشّخصية الإنسانية عند ابن تيمية من حيث بنيتها ومحدداتها وسماتها ، ومن مصادره الأصيلة.

منهج الدراسة وإجراءاتها وخطتها

اعتمد الباحث في سبيل الإجابة على أسئلة الدراسة منهجية الاستقراء واستنباط المعاني والأفكار من النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة وإعادة تركيبها في مجالاتها المحددة. حيث قام الباحث باستقراء كتب ورسائل ابن تيمية التي تجاوزت الستين والوقوف على النّصوص ذات العلاقة بالشخصية (النفس الإنسانية) من مظانّها، مع ملاحظة سياقها الذي وردت فيه، والتركيز في دلالاتها، وتصنيفها في مصفوفات معرفية تعالج جوانب محدّدة في الشخصية الإنسانية، ثمّ إجراء قراءة وتحليل وربط لها في سبيل تقديم نسيج علمي موحّد، يظهر منظور ابن تيمية للشخصية الإنسانية والذي جاء في ثلاثة جوانب: البنية، والمحددات، والسمات، وتفاعلاتها.

وقد جاءت خطة الدراسة في مقدمة عَرّفت بها، وثلاثة مباحث وخاتمة، حيث عالج المبحث الأول موضوع بنية الشّخصية، وعالج المبحث الثاني محدداتها، وعالج المبحث الثالث سماتها، وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

مصطلحات الدراسة

الشّخصية الإنسانية: منظومة سمات الإنسان ومكوناته وتفاعلاتها والعوامل المؤثرة فيها ومواقفها السلوكية. ويقصد بـ: بُنْية الشّخصية: عناصرها ومكوناتها، ومحدداتها: العوامل المؤثر فيها، وسماتها: صفات الذات الإنسانية التي تؤثر في تنميطها ومواقفها.

ولعله من المفيد تقديم تعريفات لبعض مصطلحات الدراسة المهمّة من وجهة نظر علم النفس الحديث، ومن ذلك: الشّخصية: فمن أكثر التعريفات قبولاً للشخصية، تعريف جوردون البورت، الذي يقول فيه: "الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفس جسمية التي تحدّد سلوكه وفكره المتميزين". (طه، ٢٠٠٠، ٢٧٣) ويعرفها كاتل بقوله: "الشخصية هي تلك التي تتيح لنا تنبؤا بما سوف يعمله الشخص في موقف معين".(جابر، ١٩٨٦، ٢٥٩). والنّفس: و" هي جوهر الإنسان، ومحرّك أوجه نشاطه

المختلفة. وهي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر، مكونين وحدة متميزة نطلق عليها لفظ شخصيته. (طه، ٢٥، ٢٠٠٠) والسّمة: والتي يعرفها ألبورت بأنّها "بنية عصبية نفسية لها القدرة على استخلاص المثيرات المتكافئة وظيفيا وعلى المبادأة في التوجيه لأشكال من السلوك التوافقي"، والسّمات تفسر الاتساق في السلوك الإنسان، وتنظيم الخبرات التي يتعرض لها البشر. (جابر، ١٩٨٦، ٢٥٦- ٢٥٧)

شخصية الدراسة

هو الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أحد كبار فقهاء الحنابلة وعلماء الأمة ودعاتها، ولد سنة(٦٦١هـ) وتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ). له مصنفات علمية عديدة، منها: مجموع الفتاوى، (٣٧)مجلدا، يتضمن عديدا من الرسائل والكتب والفتاوى، ودرء تعارض العقل والنقل(١١مجلدا)، ومنهاج السنة(٩مجلدات)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وبيان تلبيس الجهمية، والصارم المسلول على شاتم الرسول، والنبوات، واقتضاء الصراط المستقيم، والاستقامة، والرد على المنطقيين، والسياسة الشرعية والعبودية والتحفة العراقية والعقيدة الواسطية والتدمرية وغيرها.

المبحث الأول: بنية الشّخصية الإنسانية ودينميتها عند ابن تيميّة

يعنى هذا المبحث بتوضيح رؤية ابن تيمية لبنية الشخصية الإنسانية وذلك من خلال بيان دلالة عناصرها المفاهيمية ومكوناتها الأساسية ودينميتها.

أولاً: دلالة العناصر المفاهيمية الأساسية في الشّخصية الإنسانية عند ابن تيميّة

يحاول الباحث في هذا الجزء من الدراسة بحث العناصر الأساسية للشخصية ومدلولها في فكر ابن تيميّة، والتي شملت: النفس والقلب والعقل والروح، وبقدرما يعني الدراسة.

أولاً: النفس

يلحظ المتأمل في كلام ابن تيميّة المتعلق بمعاني النفس، تركيزه على المعنى الخاصّ للنفس- جزء الإنسان- أكثر منه من المعنى العام- الإنسان كلّه- وإنْ وجدت هناك بعض الإشارات إليه، لكنّها على الأول أكثر، ومن ذلك: دلالة معنى النفس على الروح. والمهم في ذلك أنّه ينطلق في إثبات هذه المعاني للنفس من دلالة النصوص الشرعية. يقول ابن تيميّة: "وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر، ٢٧-٣٠)، فخاطبها بالرجوع إلى ربّها، وبالدخول في عباده ودخول جنته، وهذا تصريح بأنّها مربوبة، والنفس هنا هي الروح التي تقبض، وكذلك دلالة النفس على الروح في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (الواقعة، ٨٣- ٨٤)"(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/٢٦٣، ٢٢٥-٢٦٤) وفي موضع آخر وفي دلالتها على المعنى الكلّي

وهو الإنسان(الشّخصية)، يقول: "والأنفس يعبرعنها بالنوع الواحد، كقوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور، ١٢)، وقال: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة، ٥٤) أي يقتل بعضكم بعضاً". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٤١٩).

وهذه الاطلاقات لمعاني النفس أكدتها دراسات أخرى عن ابن تيمية، تعرضت لموضوع النفس، كما في دراسة الغامدي الذي توصل إلى أنّ للنفس عند ابن تيمية دلالتين أساسيتين فيما يتعلق بجانب الشخصية الإنسانية، وهما: الدلالة على ذات الإنسان عموماً، والدلالة على الروح خصوصاً (الغامدي، ٢٠٠٣، ٥٢٧). كما أكدتها أيضاً دراسات نفسية إسلامية عديدة حيث أشارت إلى أنّ النفس في نصوص الشرع تطلق ويراد بها الذات الإنسانية ككل. وتطلق ويراد بها الروح، أي ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وأنّ الروح إنما سميت نفساً لنفاستها وشرفها (جوهري، ١٦، ١٩٨٤، ١٧)، (زريق، ١٩٩٣، ١٨ -١٩) (توفيق، ١٩٩٨، ١٥٣).

ويرى ابن تيميّة أنّ النفس الإنسانية واحدة، "وإنما تتنوع صفاتها"(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٢٥) فتتنوع بذلك النفس الإنسانية إلى: "أمّارة، ومطمئنة، ولوّامة "ويشير إلى أنّ النفس الأمّارة هي " التي تأمره (الإنسان) بالسوء، والنفس اللّوامة هي التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه، وتخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً "(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/ ١٤٨).

ومن أهم سمات النفس التي أشار إليها ابن تيميّة، أنها: سويّة ملهمة، والله عز وجل "هو الذي ألهم النفس – التي سوّاها – فجورها وتقواها"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٤/ ٢٩٩) والنفس كذلك عنده لها قوتان: قوة علميّة نظرية، وقوة إرادية عملية". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٩/ ١٣٦).

كما أنّ النفس محلّ للشعور بأنواعه، شعورها "بالوجود والعدم والملائمة والمنافرة"وغيرها، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٩٨)وهي كذلك محلّ لسائر الانفعالات الإنسانية، كالمحبّة والبغض وغيرها.(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٥/ ٢٤١-٢٤٢).

ثانياً : القلب

لقي موضوع " القلب حظاً وافراً في فكر ابن تيميّة، ويبدو أنّ ذلك راجع لمكانته في النصوص الشرعية، وبالتالي في الإسلام وفي حياة المسلم (الشّخصية الإسلامية)، وهو ينطلق في فهمه للقلب وحقيقته ومكانته في الشّخصية من منطلق إسلامي، يعتمد فيه على الوحي بالدرجة الأولى. ينظر ابن تيميّة إلى القلب على أنّه محلّ للنية والإرادة واليقين والشّك والخشوع واللّين والقساوة والوجل وغيرذلك، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/ ٣٠، ٢٩)كما أنّه محلّ للأعمال الباطنة كالتوكّل والمحبة والإخلاص وغيرها. (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/ ١٨٦).

وفي مواضع عديدة، يكشف ابن تيميّة عن

طبيعة العلاقة بين القلب والبدن، مجليًا حقيقتها وللأثر المترتب عليها، يقول ابن تيميّة: "والقلب هو الملك، والأعضاء جنوده، وإذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد، فيقى يسمع بالأذن الصوت كما تسمع البهائم، والمعنى: لا يفقهه، وإنْ فقه بعض الفقه لم يفقهه فقهاً تاماً، فإنّ الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب ومحبّة المحبوب، وبغض المكروه"، ويقول أيضاً: "وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب"، وعليه، فالقلب "هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرّى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أنْ يتخلّف البدن عما يريده القلب، فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملا قلبياً كان صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل...، والظاهر تابع للباطن". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٩/٧، ٢٧).

والقلوب أقسام، كما يراها ابن تيميّة من خلال النصوص الشرعية، فهناك:

١- القلب الأغْلف، ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (النساء، ١٥٥)، وبقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة، ٨٨)، ثم يعلق قائلاً: "والغلف، جمع أغلف، وهو ذو الغلاف الذي في غلاف مثله، كأنّهم جعلوا المانع خلقه، أي خلقت القلوب وعليها أغطية، فقال الله: (بل لعنهم الله بكفرهم) وطبع الله عليها بكفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء، ١٥٥)"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/٧) وهذا القلب من سماته: العمى، والصمم والبكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (البقرة، ١٧١)، "قال: بل نفسر قلوبهم عميت وصمت وبكمت، كما قال تعالى: (فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٧/٧)

٢- القلب المريض، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (الأنفال، ٤٩)، "والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أنّ هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال" (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤٤٨/٢٨ - ٤٥٠)، ومن سمات القلب المريض: فساد إحساس القلب وإدراكه، وفساد عمله وحركته، وضعف الإيمان، والجبن، والفزع، والشهوة المحرمة، والحسد والبخل، والشكوك والشبهات، وإرادة الفجور. (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٩٤/١، ٩٥)

٣- القلب الحي المنوّر، هو قلب فيه نور به يسمع ويبصر ويعقل، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٠٢/١-١١١) ممتلئ بالخشوع واليقين، والقوة، كما في الأثر[1]: (القلوب آنية الله في أرضه، أحبّها إلى الله

(١) ورد هذا الأثر موقوفا ومرفوعا بروايات قريبة من الرواية المذكورة في كتاب الزهد للإمام أحمد وزوائده، انظر (الألباني، ١٩٨٤، ١٦٩/١)

أصلبها وأرقّها وأصفاها) .(ابن تيمية، ١٩٨٠ ، ٧/ ٢٩، ٣٠)

ويورد ابن تيميّة في القلوب وأقسامها ، قول الصحابة ، رضي الله عنهم، فيذكر " عن علي— أو حذيفة — رضي الله عنهما — قال[٢] : القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف فذاك قلب الكافر ، وقلب منكوس ، فذاك قلب المنافق ، وقلب فيه مادتان : مادة تمدّه الإيمان و مادة تمدّه النفاق ، فأولئك قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً " . (ابن تيمية ، ١٩٨٠ ، ١/١٠٦) .

ثالثاً : العقل

امتازت رؤية الفكر الإنساني للعقل ، إلى حدّ ما ، بالضّبابية والاضطراب والتشعبات ، وأثرت بشكل أو بآخر على فكر بعض المسلمين في تاريخ الفكر الإسلامي ، وذلك لأسباب عديدة كان من أهمها ابتعادهم عن مصدرية الوحي الإلهي ، من هنا تأتي أهمية رؤية ابن تيميّة للعقل ، والتي امتازت بالوضوح والسعة لاعتماده في ذلك على المصادر الإسلامية الأصلية.

يصدق مفهوم العقل عند ابن تيميّة على أربعة معاني ، هي أنه :

١- عرَض قائم بغيره ، بمعنى ليس شيئاً مادياً محسوساً.

٢- غريزة وقوّة في النفس .

٣- العلم .

٤- العمل بالعلم ، ولعلّ هذا المفهوم خاصّ بالفهم الإسلامي ، كما سيأتي عليه الدليل.

يقول ابن تيميّة : " فإنّ العقل في لغة المسلمين عرَض من الأعراض ، قائم بغيره ، وهو غريزة ، أو عِلم ، أوعمل بالعلم ، ليس العقل في لغتهم قائماً بنفسه فيمتنع أن يكون أوّل المخلوقات عرَضاً قائماً بغيره ، فإنّ العرَض لا يقوم إلا بمحلّ فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان ، وأما أولئك المتفلسفة[٣] : ففي اصطلاحهم ، أنه جوهر قائم بنفسه ، وليس هذا المعنى هو معنى العقل في لغة المسلمين ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، خاطب المسلمين بلغة العرب ، لا بلغة اليونان[٤]". (ابن تيمية ، ١٨ ، ١٩٨٠/ ٣٣٨).

ويقول كذلك : "إنّ اسم العقل عند المسلمين

---

(٢) أحمد بن حنبل ، المسند ، ح رقم(١٠٧٠٥).وهي من رواية أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أجدها برواية علي أو حذيفة ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) ينظر في آراء الفلاسفة المسلمين حول العقل وأنه جوهر قائم بنفسه :(الحفني ، ١٩٩٩ ، ١/٥٦) و(صليبا ، ١٩٧٣ ، ٢٣٢، ١٥٩)

(٤) أي أنّ المعتمد هو المفاهيم والاصطلاحات القرآنية حول العقل لا المصطلحات اليونانية ، وأنها الأصل والمقياس لغيرها ، فما وافقها قبل وإلا فيرد .وأنه لا ينبغي تقديمها على مصطلحات القرآن .

وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، ٧٣)، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج، ٤٦)، وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد، ١٧) ونحو ذلك مما يدل على أنّ العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمّى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك، ١٠)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج، ٤٥). والعقل المشروط في التكليف لا بد أنْ يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره، ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أنّ اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار".(ابن تيمية، ٩، ١٩٨٠/٢٨٦-٢٨٧).

وعن وظيفة العقل ومكانته يشير ابن تيميّة إلى أنّ "العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين. فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أموراً حيوانية، فقد يكون فيها محبة ووجد، وذوق، كما قد يحصل للبهيمة. فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم العقل امتناعه".(ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠/٢٨٦).

وعن علاقة العقل بحصول الهداية، يقول: "فحقّ على كل أحد بذل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به (الرسول صلى الله عليه وسلم) وطاعته، إذْ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذ لا يكفي مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدّامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة".(ابن تيمية، ١، ١٩٨٠/٨) وفي هذا توجيه تربوي إسلامي إلى ضرورة إعمال العقل في المفيد من الفكر والنافع من العمل، سواءً لصالح الإنسان أو لصالح مجتمعه.

رابعاً: الروح

الروح، مكون أساسي من مكونات الإنسان، ولا يمكن لأحد أن يحصّل المعلومات الصحيحة

والدقيقة حولها، إلا إذا اعتمد طريق الرسل.

وبالنسبة لابن تيميّة، فكما سار على المنهج الإسلامي في دراسته للعناصر المتقدّمة، فكذلك هنا، في دراسته للروح، فهو يقول: "ليس في الكتاب والسنة أنّ المسلمين نهوا أنْ يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها".(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٣١).

والروح سرّ إلهي، وغيب رباني، قدّمت لنا الرسالة الإلهية معلومات محدّدة عنها بالقدر الذي نحتاجه وفقاً لحكمة الله تعالى، ولذلك سعى ابن تيميّة إلى تقديم التصور الإسلامي لمفهوم الروح من خلال القرآن والسنة باعتبارهما مصدر اقتناع واعتقاد. وقد استخلص الباحث رؤيته لمفهوم الروح، بأنها: مخلوقة، مبدعة، وليست قديمة، وهي عين قائمة بذاتها، ليست من جنس البدن ولا العناصر والمولدات منها، وليست جزءاً من الذات الإلهية، وهي لا تعدم ولا تفنى بموتها، ولها صفاتها الثّبوتية والسّلبية المخبر بها شرعاً. يقول ابن تيميّة: "الروح الآدمي مخلوقة، مُبدَعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة"، واستدل على ذلك بجملة من الأدلة منها: أنّها "لو لم تكن مخلوقة لما أقرّت بالربوبية، وقد قال لهم حين أخذ الميثاق – وهم أرواح في أشباح – كالذرّ: (ألست بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا) (الأعراف، ١٧٢)، ولأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصارى لوْم في عبادتهم عيسى (عليه السلام) ولا حين قالوا: أنّه ابن الله، وقالوا: هو الله". "ولأنّه لو كان الروح غير مخلوقة ما دخلت النار، ولأنها لو لم تكن مخلوقة لما حجبت عن الله، ولا غيّبت في البدن ولا ملَكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبّد ولم تخف، ولم ترْج".(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٢١، ٢٢٠)ويقول أيضاً في بيان مفهومها وسماتها، بالإضافة لما تقدّم ذكره: "الروح التي فينا فإنها قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية، وقد أخبرت النصوص أنها تعرج وتصعد من سماء إلى سماء، وأنها تقبض من البدن وتسلّ منه كما تسلّ الشعرة من العجينة". (ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠/٣١) وحول العلاقة بين طبيعة البدن وطبيعة الروح يؤكد ابن تيمية التغاير الكامل بينهما فهذه الروح "ليست هي من جنس هذا البدن، ولا من جنس العناصر والمولدات منها، بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس".(ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠/٣٢) لكنه وقوفاً عند حدّ الشرع لا يتكلف في بيان هذا الجنس كما تكلّفه آخرون بلا علم .وينفي أن تكون الروح هي الجسم، فالجسم "هو الجسد والبدن. وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسماً". (ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠/٣٢) فهي "ما تكون به الحياة، ويقوم به الجسد، أي: الجانب المقابل للبدن، وسميت روحاً لأنّ بها حياة الجسد"(جوهري، ١٩٨٤، ١٢).

وبما أنّ الروح مخلوقة، فهي ليست جزءاً من الذات الإلهية، كما ذهب إلى ذلك من ذهب. وهو

قول شدد ابن تيميّة النكير على أصحابه، فقال: "وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها[٥]، يزعمون أنها (الروح) من ذات الله "، فهؤلاء قد جعلوا الآدمي بذلك "نصفين : نصف لا هوت، وهو روحه، ونصف ناسوت[٦]، وهو جسده ؛ نصفه رب ونصفه عبد". (ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٢٢).

علاقة الروح بالبدن والعقل: وعن موقف العقل من الروح وطبيعة علاقتها بالبدن ؛ يبين ابن تيميّة أن العقل الإنساني وإن وقف على بعض صفات الروح- بإخبار الوحي – إلا أنه غير قادر البتّة على إدراك كنهها أو تكييفها، فيقول : "إن الروح موجودة، عالمة قادرة، سميعة بصيرة، تصعد وتنزل ،وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات"، ولكن مع ذلك فإنّ " العقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها - لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تدرك حقيقته بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره "(ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠ /٣٣)، و"لا يجوز لأحد أن يقْفوا ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لا يعلم ". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/٢٣٠).

وعن علاقتها بالبدن، فيقرر، وكما سبقت الإشارة، أن الروح ليست من جنس البدن ، ولا من جنس العناصر والمولدات منها، وأنها تفارقه بالموت وتعود إليه عند النفخة الثانية[٧] ، فالروح " في البدن قد ولجت فيه، وتخرج منه، وقت الموت. تسلّ منه شيئاً فشيئاً فتخرج من البدن شيئاً فشيئاً لا تفارقه كما يفارق الملك مدينته التي يديرها " وفي كلام له مع بيان موقف العقل من الروح وعلاقتها بالبدن ، يقول متابعاً كلامه : " والناس لمّا لم يشهدوا لها نظيراً عسر عليهم التعبير عن حقيقتها، وهذا تنبيه لهم على أن ربّ العالمين لم يعرفوا حقيقته، ولا تصوّروا كيفيته سبحانه وتعالى، وأنّ ما يضاف إليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله. فإنّ الروح التي هي بعض عبيده توصف بأنها تعرج إذا نام الإنسان، وتسْجد تحت العرش. وهي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية، والإنسان في نومه يحسّ بتصرفات روحه تصرفات تؤثر في بدنه، فهذا الصعود الذي توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات، فإنها إذا صعدت إلى مكان فارقت الأول بالكليّة، وحركتها إلى العلو حركة انتقال من مكان إلى مكان، وحركة الروح بعروجها وسجودها ليس كذلك ". "(ابن تيمية، ٣، ١٩٨٠/٣٤٩-٣٥٠) وأخيراً فموت الروح لايعني فناؤها ، بل كما يقول ابن

---

(٥) ينظر حول مثل هذه الآراء: (الحفني، ١٩٩٩، ٢/ ١١١٤).

(٦) اللاهوت والناسوت، مصطلحان يعبران في الأصل عن عقيدة النصارى في أنّ للمسيح طبيعتين: إلاهية- كلمة الله - وإنسانية- جسد المسيح. (الندوة العالمية، ٢٠٠٣، ٢/١١٥٧)

(٧) للوقوف على شواهد ذلك ومزيد تفصيل، ينظر: (ابن القيم، ٥٣-٢٩٤).

تيميّة: "والروح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، لكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان". "(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٧٩) وفي هذا القدر من المعرفة الشرعية حول الروح، كفاية للإنسان في حياته الدنيا المستخلفة فيها، ليتوجه بذلك إلى الجانب العملي والواقعي من عبادة الله وإعمار الكون دون الاستغراق وراء تفلسفات نظريه تحاول عبثاً كسر حدود الإنسان، واستهلاك طاقاته دون نفع عملي يجنيه.

وكما يلحظ من كلام ابن تيمية المتقدم فإن هناك عموماً وخصوصاً وترادفاً بين دلالات عناصر الشخصية الأربعة: النفس والروح والعقل والقلب. وأنّ أوسعها دلالة هي النفس، حيث تطلق ويراد بها الذات الإنسانية بمكوناتها كلّها، وهي بذلك تشمل الروح والعقل والقلب، وأنّ العقل والقلب يخص باطن الإنسان الإرادي والفكري لا ظاهره الجسدي.

وقد أكد هذه العلاقات بين دلالات هذه العناصر- مع الإقرار أنّها عملية اجتهادية- عدد من الباحثين المختصين في الدراسات النفسية، ومنهم نجاتي في بحثه عن الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، ومنهم: ابن تيمية (نجاتي، ١٩٩٣، ١٤٩، ٢٦٩)، والغامدي في دراسته الفلسفية عن ابن تيمية (الغامدي، ٢٠٠٣، ٥٣٢-٥٣٤) والباحثة شادية التل في دراستها عن علم النفس التربوي في الإسلام توصلت إلى النتائج الآتية: بالنسبة للقلب والنفس، فإنّ مفهوم النفس بالمعنى العام (الإنسان ككل) أعم وأشمل من مفهوم القلب، وبالمعنى الخاص (باطن الإنسان)، فإنها ترادفه. وبالنسبة للعقل والقلب: فإنّ مفهوم القلب أعمّ من العقل، فالعقل نور في القلب وفعل من أفعاله. وبالنسبة للروح والنفس، فإنّ مفهوم النفس بمعناها العام (الإنسان ككل) أعمّ من الروح وأشمل، وبمعناها الخاص (باطن أو جوهر الإنسان) ترادفه. (طه، ٢٠٠٠، ٥٢-٥٨).

ثانياً: مكوّنات الشّخصية الإنسانية وديناميتها عند ابن تيميّة

ابتداء، لا بد من التأكيد، أنّه في الحديث عن مكوّنات الشّخصية الأساسية والكبرى عند ابن تيميّة لا بدّ من استصحاب رؤيته المتقدمة حول العناصر المفاهيمية الأساسية في الشّخصية الإنسانية: القلب، والعقل، والنفس، فهي تؤدي دورا أساسيا في توضيح بنْية الشّخصية ومكوناتها والكشف عن حقيقتها.

وسيكون التركيز في مجال البحث هنا على المحور العام في دراسة مكونات الشّخصية الإنسانية عند ابن تيميّة، وهو يقع في تحديدها في مكونين أساسيين، هما: المكوّن المادي والمكوّن الروحي أو البدن والروح أو الباطن والظاهر، وطبيعة العلاقة بينهما كما تظهر في ظل البناء الإنساني العجيب وتفاعلاتها المعقّدة في الحياة، وسينصب اهتمام الباحث على إظهار رؤية ابن تيميّة الأساسية في هذا الموضوع.

ينظر ابن تيميّة إلى مكوّنات الشّخصية الإنسانية على أنها تتكون بالأساس من مكوّنين كبيرين مهمين. هما: الأول: الروح، والثاني: البدن، فيقول: " فإنّ الإنسان (الشّخصية) عبارة عن البدن والروح معاً."(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٢٢) وهناك عديد من المواضع التي يشير فيها إلى هذين المكونين، وهذا سيظهر بوضوح أكثر من خلال رؤيته لطبيعة العلاقة بينهما وتفاعلاتهما، وهو الجانب الأهم الذي لا بد من إبرازه، إذ تقدّم تفصيل لآرائه حول الروح (المكون الروحي)، ولكن وقبل الشروع في ذلك، لا بد من عرض رؤيته للمكون المادّي(البدن).

بعد أنْ ساق ابن تيميّة عدداً من الأحاديث في خلق الإنسان (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٢٢) (المكون المادّي)، قال: " فهذا فيه بيان أن كتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته بعد أن يجعله ذكراً أو أنثى، وسوياً، أو غير سوي "(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/٢٤٠) فالشّخصية الإنسانية الكاملة لا بد أن تشتمل في مسمّاها جميع أعضاء البدن، كما يقول ابن تيميّة: " كذلك الإنسان الكامل[٨]، يدخل في مسمّاه أعضاؤه كلّها، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل في الاسم الكامل." (ابن تيمية، ١٨، ١٩٨٠/٢٧٧)

وأمّا أهم العناصر في المكوّن المادّي (البدن) بالنسبة للشخصية الإنسانية وطبيعتها وذات الأهمية الكبرى في تحديد نوعية السّلوك فله رأيه في ذلك مستمدا من المصدر الصادق والموثوق، من" قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (البلد، ٨ – ١٠) ؛ الهداية محلّها القلب، وهذه الأعضاء الثلاثة التي هي دائمة الحركة والكسب، إمّا للإنسان وإمّا عليه. بخلاف ما يتحرك من الداخل، فإنه لا يتعلق به ثواب ولا عقاب. وبخلاف بقية الأعضاء الظاهرة، فإن السكون أغلب وحركتها قليلة بالنسبة إلى هذه، وقد ذكر سبحانه اللسان والشفتين، لأنهما العضوان الناطقان."(ابن تيمية، ١٦، ١٩٨٠/٢٢١).

ويؤكد ابن تيميّة، وبشكل واضح، على أنّ مكوّنات الشّخصية الإنسانية ليست على درجة واحدة من الأهمية، فهناك مكوّن منها يحتل الموقع المركزي والمحوري فيها، ولا شك أن هذا المكوّن هو: المكوّن الروحي (الروح) أو المكوّن الباطني (الباطن)، يقول ابن تيميّة: " فإن حقيقة العبد قلبه وروحه[٩]، وهي لا صلاح لها إلا بإلاهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره "، (ابن تيمية، ١، ١٩٨٠/٢٣)

---

(٨) المراد هنا بالإنسان الكامل، من حيث كماله البدني، أي كمال خِلْقته فلا نقص في الأعضاء، وهذا غير تعبير "كمال النفس" الذي يرد في مؤلفاته، ويقصد به كمالها من حيث الناحية العلمية النظرية والإرادية العملية.

(٩) المراد بالقلب هنا: باطن الإنسان مطلقا. وبالروح: المدبرة لبدن الإنسان. (الغامدي، ٢٠٠٣، ٥٣٣، ٥٣٢)

وسيتجلى هذا أكثر في الحديث على طبيعة العلاقة بين مكوّنات الشّخصية وعناصرها وعن ديناميتها.

العلاقة بين مكونات الشّخصية وعناصرها وديناميتها

تظهر في رؤية ابن تيميّة للشخصية الإنسانية، العلاقة القائمة والشديدة الفعّالية بين مكوّنات الشّخصية وعناصرها، وأنها ذات طبيعة حيّة فعّالة (ديناميكية)؛ يقول في معرض نقاشه لآراء الفلاسفة في الروح والبدن والعلاقة بينهما: "وكذلك قولهم إن تعلقها بالبدن ليس إلا مجرد تعلق التدبير والتصريف، كتدبير الملك لمملكته من أفسد الكلام، فإن الملك يدبر أمر مملكته فيأمر وينهى ولكن لا يصرّفهم هو بمشيئته وقدرته إن لم يتحركوا هم بإرادتهم وقدرتهم. والملك لا يلتذ بلذة أحدهم، ولا يتألم بألمه وليس كذلك الروح والبدن، بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به، ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلاً لدخول شيء من الأجسام المشهودة، فليس دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من المائعات في الأوعية. فإنّ هذه إنما تلاقي السّطح الداخل من الأوعية، لا بطونها ولا ظهورها، وإنّما يلاقي الأوعية منها أطرافها دون أوساطها، وليس كذلك الروح والبدن، بل الروح متعلقة بجميع أجزاء البدن باطنة وظاهرة، وكذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الآكل. فإن ذلك له مجال معروف، وهو مستحيل - إلى غير ذلك من صفاته - ولا جريانها في البدن كجريان الدم، فإن الدّم يكون في بعض البدن دون بعض".(ابن تيمية، ١٩١٠، ١٧/١٣٤٨-٣٤٩).

فلا بد، في التصور السليم للشخصية الإنسانية[١٠]، من أن يُنظر إلى مكوناتها كوحدة واحدة، متفاعلة معاً ومع الأطراف الأخرى. يقول ابن تيميّة: "فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معا. بل هو بالروح أخصّ منه بالبدن. إنما البدن مطية للروح. كما قال أبو الدرداء[١١]: إنما بدني مطيتي. فإن رفقت بها بلغتني، وإن لم أرفق بها لم تبلغني" (ابن تيمية، ١٩٨٤، ٦/١٠٨). وفي تفاعل مكونات الشّخصية مع الحسّ، يقول: "الروح تحسّ بأشياء لا يحسّ بها البدن، كما يحسّ من يحصل له نوع تجريد

(١٠) التصور السليم للشخصية الإنسانية، هو الذي يُبنى فهمه لطبيعة الشخصية ومكوناتها على الحقائق العلمية المستمدة من المصادر الصحيحة والمعتبرة، وفي مقدمتها الوحي الذي أخبر بكثير من المعارف عن أصل الإنسان ومراحل خلقه وخصائصه، إضافة لكل مصدر معتبر يقره الشرع فيؤخذ بما لديه من نتائج علمية.

(١١) وجد الباحث نصا قريبا منه ينسب لأبي درّ رضي الله عنه، يقول فيه: (نفسي مطيتي وإن لم أتعهدها تعبتني) (ابن حجر، ١٩٩٥، ١/٣٢٨) ومراد ابن تيمية من الشاهد المذكور أنّ الروح غير البدن، وأنّ البدن بالنسبة للروح كالركوبة بالنسبة للراكب فلا بد من الإحسان في مسيرها، وأنّ العبرة تبقى في من يقود المركب ويتصل به ويستخدمه.

بالنوم وغيره، بأمور لا يحسّ بها غيره، ثم الروح بعد الموت تكون أقوى تجرداً، فترى بعد الموت وتحسّ بأمور لا تراها الآن ولا تحسّ بها." (ابن تيمية، ٦، ١٩٨٤/ ١٠٨) فالشّخصية الإنسانية في بنْيتها ومكوناتها، شخصية متفاعلة دينامية ، فكما يقول ابن تيميّة، فإن الله عز وجل خلق " أعمال الأبدان بأعمال القلوب، ويكون لأحد الكسْبين تأثير في الكسب الآخر بهذا الاعتبار، ويكون ذلك الكسْب من جملة القدرة المعتبرة في الكسب الثاني، فإن القدرة هنا ليست إلا عبارة عمّا يكون الفعل به لا محالة: من قصد وإرادة وسلامة الأعضاء والقوى المخلوقة في الجوارح وغير ذلك"، (ابن تيمية، ٨، ١٩٨٠/ ٣٩٠)، ويقول كذلك: " وذلك أن الجسد تابع للقلب، فلا يستقرّ شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه."(ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ١٢١)

وهذا ما تؤكده عديد من الدراسات النفسية، حيث تشير إلى أنّ أبرز ما في الكيان البشري أنّه كيان مزدوج، وهذا الازدواج هو طابع كيانه كلّه(قطب، ١٩٩٣، ٤١-٤٢)، وهذه "الطبيعة المزدوجة تجعل جميع نشاطاته "الروحية" و "الجسدية" نشاطات مزدوجة الطبيعة، ويصعب فرز نشاط روحي محض أو جسدي محض، ولا يمكن فهم نشاطات الإنسان بأحد المكونين دون الآخر، ولا بهما منفصلين أحدهما عن الآخر، وإنّما يفهم السلوك الإنساني في ضوء هذين المكونين وفي سياق موحّد".(توفيق، ١٩٨٨، ١٥٣). وفي رؤية علم النفس الحديث فإنّ " الشخصية الإنسانية لا تتكون -فقط- من أجهزة عقلية ونفسية ، بل -وأيضاً- من أجهزة وهيئة جسمية تتفاعل جميعاً في وحدة متكاملة هي الشخصية، وتتبادل جميعاً ومعاً التأثّر والتأثير"(طه، ٢٠٠٠، ٢٧٧)

ويتنبّه ابن تيميّة إلى أنّ طبيعة هذه المكونات للشخصية الإنسانية، تفرض على بنْيتها محدودية في القدرة والإمكانات، ومن هنا لا بد من مراعاة ذلك، وهذا هو الأصل الذي راعاه الشارع في التكليف، يقول ابن تيميّة: " قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة، ٢٨٦) فنفى بذلك ما توهّموه من أنّه يعذبهم بالخطرات التي لا يملكون دفعها، وأنها داخلة تحت تكليفه، فأخبرهم أنه لا يكلفهم إلا وسعهم، فهذا هو البيان الذي قال فيه ابن عباس وغيره فنسخها الله عنهم بقوله: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمراً ونهياً فهم مطيقون له قادرين عليه، وأنه لم يكلفهم ما لا يطيقون ". (ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ١٣٧)وفي معنى الوسْع ، يقول: " وأما وسْعه الذي هو منه في سعة فهو دون مدى الطاقة والمجهود، بل نفسه فيه مجال ومتسع، بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدوراً له، ولكن فيه ضيق وحرج ".(ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ١٣٧).

ويحذر ابن تيميّة من التفاعل السّلبي بين مكوّنات الشّخصية، كأن يغلب فعل المكوّن المادي

على حسّاب الآخر، فيصف ذلك بأن " حياة البدن دون حياة القلب من جنس حياة البهائم، لها سمع وبصر وهي تأكل وتشرب وتنكح ."(ابن تيمية، ١، ١٩٨٠/ ١٠٤).

وبما أنّ بنْية الشّخصية الإنسانية في تصوّر ابن تيميّة متفاعلة، فلا شك هي كذلك عنده متطوّرة وليست جامدة، ويصف ذلك بقوله: "فحيوانية الإنسان ونطقه، كل منهما فيه ما يشترك مع الحيوان فيه، وفيه ما يختص به عن سائر الحيوان، وكذلك بناء بنيته فإنّ نموّه واغتذاءه وإن كان بينه وبين النبات فيه قدر مشترك، فليس مثله، إذ هذا يغتذي بما يلذّ به ويسرّ نفسه، وينمو بنمو حسّه وحركته وهمّه وحرثه، وليس النبات كذلك."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٩ /٦٢).

ولا شك أنّ الوعي بالدلالات المفاهيمية لعناصر الشخصية الإنسانية وبمكوناتها الأساسية، يسهم في تحقيق مزيد من الفهم الصحيح للذات الإنسانية، والإدراك المعقول لإمكاناتها ومعطياتها، والحاجة إلى القيام بممارسات إنسانية وحضارية تتوافق مع التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية وغاياتها في الحياة الدنيا.

المبحث الثاني: محدّدات الشّخصية الإنسانية عند ابن تيميّة

يتكون من كلام ابن تيميّة حول الإنسان " الشّخصية " في عديد من المواضع في مؤلفاته، ما يمكن أن يطلق عليه "محددات الشّخصية الإنسانية" ؛ أي العوامل المؤثرة في بنيتها وفي تنميطها وسلوكاتها واختلافاتها الفردية، فهناك مواضع تحدث فيها وفصلّ عن الفطرة، وأخرى أجمل عن مراحل خلق الإنسان في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وأخرى بين فيها دور البيئة بشكل خاص، ودور المعتقد، بل ودور طبيعة القوى التي جبل عليها الإنسان أصلاً(ورثها)، كما أن هناك إشارة عن قابلية الشّخصية واستعدادها. وسيكون التركيز في هذا المبحث على الفطرة والبيئة بشكل خاصّ لبروزهما في كلامه، ثم تأتي الإشارة إلى دور الاستعداد.

المحددات الداخلية وتفاعلها وتأثيرها في السلوك

لقد أعطى ابن تيميّة اهتماماً ملحوظاً في كلامه عن الفطرة، ويبدو أن ذلك راجع إلى موقعها البالغ الأهمية في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وما ينبني على ذلك من فكر وآراء تتصل وبشكل موثوق بالإنسان (الشّخصية) وطبيعته وحركته وفاعليته في الوجود، وبالجانب التنظيري في هذا المجال، ولذا حاول أن يقدّم فهماً للفطرة الإنسانية مستخلصاً من مجموع النصوص الشرعية .

يقول ابن تيميّة في مفهوم الفطرة : "ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً – كما قال صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة..)[١٢] فإن الفطرة

---

(١٢) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، ح رقم(٤٤٠٢).ونص الحديث كاملاً: (ما =

تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه "(ابن تيمية، ٢، ١٩٨٠/ ٦) ويؤكد هذا المعنى نفسه في موضع آخر بقوله: "فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها وهي أن يكون مقراً لربه مريداً له ... كان (القلب) فاسداً."(ابن تيمية، ١٨، ١٩٨٠/ ١٦٤).

والفطرة التي يتحدث عنها ابن تيميّة، إنما هي فطرة الإسلام، ولذلك فمعناها لا بد أن يرجع إليه: يقول في ذلك: " أمّا قوله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه)، فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: (ألستُ بربّكُم ؟قالوا بلى) (الأعراف، ١٧٢) وهي: السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٤٥) وهي كذلك المقصودة في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم، ٣٠)، فأخبر أنه فطرعباده على إقامة الوجه حنيفاً، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ويؤكد ابن تيميّة على أنّ هذه الفطرة ليست من الأمور المكتسبة من العبد، وإنما هي خلقة الله في العبد، وهي " الحركة الفطرية المستقيمة المعتدلة الطبيعية، وهي صحة الخلقة" (ابن تيمية، ١، ١٩٨٠/ ١٤٦)، وفي الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)[١٣].

هذه النظرة العلمية في معنى الفطرة عند ابن تيمية وما خلص إليه الباحث من معناها ودلالاتها عنده، هي ما أكدّته الدراسات العلمية والمصادر الإسلامية الأصيلة، فقد خلص النحلاوي في دراسته عن الفكر التربوي عند ابن تيمية إلى ذات المعاني التي توصل إليها الباحث في دراسته هذه عن معنى الفطرة (النحلاوي، ١٩٨٦، ٨٨-٩٥)، وكذلك قرّر هذه المعنى الكردي في دراسته لفكر ابن تيمية حيث يقول: وتعدّ كتابات ابن تيمية عن مفهوم الفطرة من الأبحاث النفسية التي ينبغي الإشارة إليها، فهو يعرض لمفهوم الفطرة كما يذكره القاضي أبو بكر بن العربي بأنّه الإقرار بمعرفة الله، وهو العهد الذي أخذه عليهم في أصلابهم أبائهم" (الكردي، ١٩٨٦، ٢٠٠).

ومن دراسات علم النفس الإسلامي التي خلصت إلى ذات النتائج، دراسة نجاتي عن علم النفس في السنة، حيث يقول: "ويولد الإنسان على الفطرة، والفطرة هي الدين الحنيف والاستعداد لمعرفة الله وتوحيده والميل إلى الحق"(نجاتي، ٢٠٠٠، ٢٤٩). وقد

= من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء).

(١٣) مسلم، الصحيح، كتاب الجنة، ح رقم (٥١٠٩).

بوّب البخاري في صحيحة قوله : "باب (لا تبديل لخلق الله) لدين الله. والفطرة: الإسلام[١٤]، وكما فسّر الطبري معنى الفطرة بالإسلام وأيد ذلك بنقولات عن أهل العلم. (الطبري، ١٩٩٢، ١٠/١٨٣).

ولقد عرض ابن تيميّة للإشكال المتعلق بوجود نصوص شرعية تثبت أن كل مولود إنما يولد على الفطرة ونصوص أخرى تنفي العلم عن هذا المولود حال ولادته كما في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (النحل، ٧٨) .وأجاب عليه بقوله: "ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مغيّر، لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع: هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ".(ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/ ٧٢٤) وقال في موضع آخر: " ومعلوم أنّ قوله: كل مولود يولد على الفطرة ، ليس المراد به أنه حين ولدته أمه يكون عارفاً بالله موحداً له، بحيث يعقل ذلك، فإنّ الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (النحل، ٧٨) ، ونحن نعلم بالاضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضي ذلك، وتستوجبه بحسبها، فكلّما حصل فيه قوة العلم والإرادة، حصل من معرفتها، ومحبتها له، ما يناسب ذلك".(ابن تيمية، ١٩٨٤ ، ٤/٤٦٠-٤٦١).

ويتضح من كلام ابن تيميّة أنّ العوامل التي تؤثر في الشّخصية غالباً ما تكون في حالة تفاعل وتأثير، وأن السلوك هو ناتج تفاعلات العوامل الظاهر والباطنه ذات التلازم والترابط، يقول ابن تيميّة في إيضاح العلاقة بين الفطرة والشرعة(الفطرة) المنزلة : " وكل من كان بالله أعرف ، وله أعبد، ودعاؤه له أكثر، وقلبه له أذكر، كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل، فالفطرة مكمّلة بالفطرة المنزلة، فإن الفطرة تعلم الأمر معجلاً، والشريعة تفصله وتبيّنه، وتشهد بما لا تستقل الفطرة به ".(ابن تيمية، ١٩٨٤ ، ٤/٤٥)

وفي تفصيل دقيق لتفاعل محددات الشّخصية والسلوك وإمكان تعديله ، يقول ابن تيميّة في معرض تعليقه على آراء بعض العلماء ونقاشه لها في سياق فكرة أن كل مولود يولد على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه: "معلوم أنّ جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم هي مولدة على ما سبق في علم الله لها، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة ، وأيضاً: فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه معنى: فإنهما فَعَلا به ما

---

(١٤)البخاري، الصحيح، باب لا تبديل لخلق الله ، ح رقم (٤٧٧٥).

هو الفطرة التي ولد عليها، فلا فرق بين التهويد والتنصير. فتمثيله صلى الله عليه وسلم، بالبهيمة التي ولدت جمعاء، ثم جدعت: يبين أن أبويه غيّرا ما ولد عليه، ثم يقال وقولكم خلقوا خالين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما بل يكون القلب كاللّوْح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، فهذا قول فاسد جداً، فحينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير، والإسلام، وإنما ذلك بحسّب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسْلمانه ويهوّدانه وينصّرانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام: علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر، وأيضاً، فالنبي صلى الله عليه وسلم شبّهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الأنف، ومعلوم أن كمالها محمود، ونقصها مذموم، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة؟ والله أعلم."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٤٣-٢٤٤).

وفي موضع آخر، معلقاً على الحديث(كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدْعاء)، ذكر بأن هذا النص يبين "أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن من العيوب، وأنّ العيب حادث طارئ"، (ابن تيمية، ٤، ١٩٨٠/ ٢٤٦) ويضيف كذلك، على الآيات والأحاديث المتعلقة بالفطرة، ما يشير إلى المؤثرات الإيجابية والسلبية في النفس المفطورة، قائلاً " فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية، محبة له، تعبده لا تشرك به شيئاً، ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل"(ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ٢٦٩) والله عز وجل قد جعل فطرة الإنسان محبة للحق، لأنها الأصل الذي يولد عليه الإنسان، وهي هبة الله ومنته على خلقه، "ولكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته – عن طلب علم ما ينفعه." (ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ٢٩٧) " فالله عز وجل فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له عابداً له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطر عليها، وإن كانت بقضاء الله وقدره – كما يغير البدن بالجدع – ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يسّر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة، والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها."(ابن تيمية، ١٠، ١٩٨٠/ ١٣٥).

ويؤكّد ابن تيميّة تشابك المحددات بكل أنواعها المتفاعلة في الشّخصية الإنسانية، بقوله: " والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق، فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق الله له، (سنة الله) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (الفتح، ٢٣) وهو مع ذلك ليس بمتروك مُخلّى فإنه لا يزال في أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على الحال التي تكون عليها العين والأذن من

الفراغ والتخلّي، فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلق، موضوع لا موضوع له، فأما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغا عن كل ذكر خاليا عن كل فكر فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه، ويرى الحق الذي لا ريب فيه، فيؤمن بربه وينيب إليه، فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا، ومطالب الجسد، وشهوات النفس ثمّ الهوى قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه، فلا يتبين له الحق، فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيراً ما يكون ذلك عن كِبْر يمنعه عن أن يطلب الحق، وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق فيجحده ويعرض عنه".(ابن تيمية، ٢، ١٩٨٠/ ٣١٣- ٣١٤).

المحدّدات الخارجية وتفاعلها وتأثيرها في السلوك

وفي تأثير مُحَدّد التعليم، يقول: "إذا ثبت أن نفس الفطرة مقتضية لمعرفته ومحبته (الله) حصل المقصود بذلك، وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة: كالتعليم والتخصيص، فإن الله قد بعث الرسل، وأنزل الكتب، ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: معرفة الله وتوحيده، فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة، وإلا استجابت لله ورسله، لما فيها من المقتضى لذلك".(ابن تيمية، ٨، ١٩٨٤/ ٤٦٠).

ويشير ابن تيميّة في سياق محددات الشّخصية إلى ما يمكن أن نطلق عليه قوى الاستعداد وتفاعلها البيئي، حيث يقول: "من المعلوم أنّ النفوس إذا حصل لها معلّم ومخصّص، حصل لها من العلم والإرادة بحسّب ذلك، ومن المعلوم أنّ كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحقّ، ومعلوم أن التعليم والتخصيص لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم البهائم والجمادات وخصّصها، لم يحصل لها ما يحصل لبني آدم، والسبب في الموضعين واحد، فعلم أن ذلك لاختلاف القوابل. ولهذا يشترك الناس في سماع القرآن، ويتفاوتون في آثاره، فيهم من العلم والحال، وهكذا في سائر الكلام، وإذا كان كذلك علم أن في النفوس قوة تقتضي العلم والإرادة." (ابن تيمية، ٨، ١٩٨٤/٤٦١).

ونختم الحديث عن المحددات، ببيان تفاعلية المحددات مع الموقف، حيث يقول ابن تيميّة: "إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسّوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللاّبس لثياب الجند المقاتلة – مثلاً – يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع، وأن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وكلما كان القلب أتمّ حياة، وأعرف بالإسلام، كان إحساسه

تفارق العبد والنصارى باطنا وظاهراً أتم، وبُعده عن أخلاقهم المحمودة في بعض المسلمين أشد".(ابن تيمية، ١٩٩٤، ١/ ٨٠ ٨١)

وهذا التفاعل في تأثير المحددات في الشخصية ومواقفها هو ما تؤكده الدراسات النفسية في الشخصية الإنسانية، يقول العيسوي: " ويلاحظ أنّ العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية متفاعلة ومتداخلة. وليست مستقلة بعضها عن بعض" (العيسوي ٢٠٠٢، ١٣٤).

والاصل أنْ تدفع محددات الشخصية الإنسانية الذات الإنسانية والمجتمع الإسلامي باتجاه التأثير والتأثر المتزن والتفاعل الإيجابي بين محددات الشخصية والمواقف الحياتية بما ينسجم مع التصور الإسلامي وذلك في سبيل تحقيق الإبداع والارتقاء بالأداء المجتمعي بما يرضي الله تبارك وتعالى.

المبحث الثالث: السّمات العامة للشخصية الإنسانية وقواها وتفاعلها عند ابن تيميّة

يجد الباحث في فكر ابن تيميّة في موضوع الشّخصية الإنسانية، تركيزاً واضحاً على خصائص الشّخصية وصفاتها، أو ما يمكن أن يسمى " بالسّمات" وخاصة تلك العامة التي تسود الإنسان كإنسان، بطبيعته التي خلقه الله عز وجل عليها، وكما يجد عنده ابراز لقوى الشّخصية الإنسانية، وحالة التفاعل المشترك الداخلي والخارجي.

أولاً: سمات الشّخصية

الباحث في سمات الشّخصية الإنسانية بشكل عام عند ابن تيميّة، يمكنه أنْ يستخلص مجْمع مركز لها وتصنيفات عريضة، فهناك السّمات العامة، والسّمات الكبرى والفرعية، والسّمات الإيجابية والسّلبية، وما يمكن أن يطلق عليه السّمات الخاصّة (الفريدة).

ومن أهم السّمات العامة للشخصية الإنسانية:

١- مخلوق: فمن السّمات الأساسية للشخصية الإنسانية، أنها مخلوقة، فليست خالقه ولا قديمة، كما ذهبت إلى ذلك بعض الفلسفات البشرية، يقول ابن تيميّة: " فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ١٤٩) فالله عزّ وجل خالق العباد وخالق أفعالهم وقدراتهم(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ١٥٠) فيجب أن يُنظر للإنسان (الشخص) على أنه مخلوق(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ٢٢٢)، وأن هذه سمة أساسية من سماته، والانطلاق منها في تصور الشّخصية الإنسانية وسماتها، يشكل المسار الصحيح لدراستها وفهمها على حقيقتها.

٢- مربوب: فالشّخصية الإنسانية مربوبة، للربّ الذي خلقها سبحانه وتعالى، يقول ابن تيميّة: " الإنسان عبد مخلوق مربوب"(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤/ ٢٢٢) ويوضح ذلك أكثر بقوله: "والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً، مفطوراً، مصنوعاً: عاد في علمه وعمله إلى خالقه، وفاطره، وربه، وصانعه"(ابن

تيمية، ١٩٨٠، ٢/٢٠).

٣- مفطور: أي أنّ الشّخصية الإنسانية مفطورة على ما فطرها عليه فاطرها سبحانه وتعالى".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢/٢٠) وقد سبق الحديث عنها.

٤- مفتقرة مضطرة: أشار ابن تيميّة في عديد من المواضع إلى أنّ الافتقار والاضطرار لازم للطبيعة الإنسانية، ومن أخص سماتها التي لا تنفك عنها أبداً (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/٣٩)، وهذا يرجع إلى كونها في الأصل مخلوقة مربوبة وفق نظام معين يظهر بوضوح افتقارها واضطرارها، وهذه السّمة تتضح في العديد من السّمات الأخرى.

٥، ٦ - الحرية والقدرة: كثر تأكيد ابن تيميّة على اتصاف الشّخصية، بأنها شخصية حرّة وقادرة، لما لهذا الفهم من عظيم الأثر في تصوّر الشّخصية ورسم معالمها ووضع نظريتها، ولذلك جاء تأكيده هذا في أوساط نظرات متضاربة وتائهة في أمر هذه السّمة المتعلقة بالإنسان، وقد قدّم الرأي الصواب الذي ينطلق من قول خالق الإنسان نفسه سبحانه وتعالى ومصوّر شخصيته، فلا غرو أن نجد المجلدات الكاملة - مثل مجلد القدر ضمن مجموع الفتاوى- تعالج هذا الموضوع. يقول ابن تيميّة: "وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ (التكوير، ٢٧-٢٨)". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/١٥٠) وفي وصفه أصحاب التصور السليم في ذلك، يقول: "ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبوراً، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله، فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/٣٧٤)

فالشّخصية الإنسانية لها مشيئة ولها قدرة، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٨/١١٨) "فهي حرّة مختارة، تختار بكامل حريتها، إمّا سبيل الهداية وإمّا سبل الضلال، والدلائل على ذلك عديدة. وكما في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ فَهَدَىٰ﴾ (الأعلى، ٣)، وفي قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ (الإنسان، ٣)، وقوله: (هديناه النجدين)(الفجر، ١٠)، وغير ذلك من الأدلة والدلائل."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٦/١٤٢- ١٤٤)

٧، ٨ - حَيوان حسّاس: هكذا أشار ابن تيميّة إلى هذه السّمة للشخصية الإنسانية - حيوان - حسّاس، فقد قال: "وهو (الإنسان) حيوان، وكل حيوان حسّاس متحرك بالإرادة "(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/٤٣)، ويوضح الأمر في أحد جوانب الشّخصية، بقوله: "وإنما المقصود هنا: أنّ الإنسان محسّ بأنه عالم: يجد ذلك ويعرفه بغير واسطة أحد (مثلاً إحساس الفطرة بالله)، وحصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم، فالجسم يحسّ بالطعام والشراب. وكذلك القلوب تحسّ بما يتنزل إليها من العلوم التي هي طعامها وشرابها، كما قال النبي صلى الله عليه

وسلم[١٥]: (إنّ كلّ آدب يحبّ أن تؤتي مأدبته، وإنّ مأدبة الله هي القرآن) "(ابن تيمية، ١٩٨٤، ٦/ ١٠٨) وسمة الحسّ – حسّاس – التي تتصف بها الشّخصية الإنسانية هي على نوعين، كما يرى ابن تيميّة، حيث يقول: " فالحسّ نوعان: حسّ ظاهر، يحسّه الإنسان بمشاعره الظاهرة، فيراه ويسمعه ويباشره بجلده، وحسّ باطن، كما أن الإنسان يحسّ بما في باطنه من اللّذة والألم، والحبّ والبغض، والفرح والحزن، والقوة والضعف، وغير ذلك "(ابن تيمية، ١٩٨٤، ٦/١٠٨).

٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤ – التجبّر والضعف والتعجّل، والجهل والهلع والخطأ: أشار ابن تيميّة إلى هذه السّمات التي تتصف بها الشّخصية الإنسانية عموما، فمن سمات الإنسان، أنه جبار ضعيف، وأنه متعجّل للعاجل قبل الآجل، وأنه جهول، هلوع، ولا يمكن بأي حال أن يمتنع من الوقوع في الخطأ كليّاً، يقول ابن تيميّة: "قول الناس: الآدمي جبّار ضعيف، فإنّ ضعفه يعود إلى ضعف قواه، من قوة العلم والقدرة، وأما تجبّره فإنه يعود إلى اعتقاداته وإراداته، أمّا اعتقاده فإن يتوهم في نفسه أنه أمر عظيم فوق ما هو ولا يكون ذلك، وهذا هو الاختيال والخيلاء والمخيلة، وهو أن يتخيل عن نفسه ما لا حقيقة له، وأمّا الإرادة أن يتعظم ويعظم، وهو إرادة العلو في الأرض والفخر على الناس". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ٢١٩).

والشّخصية الإنسانية تقصد إلى دفع العاجل أو تحصيله قبل الآجل(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٤/ ١٤)، وهي في أصلها خلقت جهولة، يقول ابن تيميّة: "والإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٤/٣٨)، كما أنه من غير الممكن خلّو الشّخصية من الخطأ.(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/ ٤٨٥).

والشّخصية الإنسانية تتسم بالهلع، إذ هو من سماتها اللّصيقة بها، يقول ابن تيميّة: "وأن (الله سبحانه) هو الذي خلق العبد هلوعاً، إذا مسّه جزوعاً، وإذا مسّه الخير منوعاً"(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٨/ ١١٨).

١٥، ١٦ – همّام وحارث. يمكن للباحث في فكر ابن تيميّة المتعلق بالشّخصية الإنسانية، أن يتوصل إلى رؤية مركزية لسماتها عنده، تقوم على أن أكثر سمات الشّخصية الإنسانية أهمية وقيمة وواقعية، هما سمتا: همّام وحارث، وقد استخلصهما من المصدر الشرعي الذي يتسم بالحقيقة الثابتة والصدق المطابق للواقع، إذ ورد في السنة الشريفة ما يثبت هاتين السمتين والتي جاء تركيز ابن تيميّة عليها وفي مواضع عديدة، حيث يورد الروايات بذلك والشروحات والتعليقات المناسبة.وعليه ففهمها يعد منطلقا ضروريا

---

(١٥) وجده الباحث بنص قريب منه في سنن الدّارمي، كتاب فضائل القرآن، ح رقم(٣١٨١)

في آراء ابن تيمية في الشخصية الإنسانية.يورد ابن تيميّة، قول الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث الشريف[١٦]: (أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأقبحها حرْب ومُرّة، وأصدقها حارث وهمّام)، ثم يعلق عليه بقوله: " فإنّ كلّ آدمي حارث همّام، والحارث هو: العامل الكاسب، والهمّام: الذي يهم ويريد، قال تعالى: (من كان يريد حرْث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ومالـه في الآخرة من نصيب) (الشورى، ٢٠)، فقوله حرث الدنيا، أي: كسبها وعملها" (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٥٥/١٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم: أصدق الأسماء: حارث وهمام: " لأنّ كلّ إنسان همّام حارث، والحارث: الكاسب العامل، والهمّام: الكثير الهمّ – وهو مبدأ الإرادة، وهو حيوان، وكل حيوان حسّاس متحرك بالإرادة."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤٣/٧).

ويقول في موضع آخر، وفيه إشارة إلى مفهوم السّمة كذلك، " فلما كان من طبع النفس الملازم لها: وجود الإرادة والعمل، إذ هو حارث وهمام، فإن عرَفت الحق وأرَادته وأحبته وعبدته: فذلك من تمام إنعام الله عليها، وإلا فهي بطبعها لا بد لها من مراد معبود غير الله، ومرادات سيئة تضرها".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٩٨/١٤)

ويؤكّد هذه السّمة في موضع آخر أيضا، بقوله: "بل الإنسان المنفرد لا بد له من فعل وترك، فإن الإنسان همّام حارث، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (أصدق الأسماء، حارث وهمّام)، وهو هل هو نافع له أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده." (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١١٤/٣).

من هنا يمكننا كذلك أن نفهم رأي ابن تيميّة في امتناع خلّو الشّخصية الإنسانية من مراد تريده، حينما أشار بقوله: " وأما خلّو الإنسان عن الإرادة مطلقاً فممتنع، فإنه مفطور على إرادة ما لا بدّ له منه، وعلى كراهة ما يضرّه ويؤذيه."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١١٤/١١)

وفي عمليه من الربط بين هاتين السّمتين الأساسيتين وما يتفق معها ويصدرعنها، يقول ابن تيميّة: "ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (... وأصدق الأسماء حارث وهمّام ..) (الحديث)، فالحارث هو العامل الكاسب المتحرك. والهمّام هو الدائم الهم الذي هو مقدّم الإرادة، فكل إنسان حارث فاعل بإرادته، وكذلك مسبوق بإحساسه".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٦٢/٩).

١٧- الكدْح: هناك إشارة في كلام ابن تيميّة إلى أنّ من سمات الشّخصية الإنسانية، الكدح، فهي كادحة إلى ربها كدْحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولاصلاح لها إلا بلقائه،(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٣/١) وهذه حقيقة قرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾

(١٦) الألباني، صحيح الجامع، ح رقم (٣٢٦٩).

(الإنشقاق، ٦). والكدح: السعي والعمل.

١٨- النطق والبيان: أشار ابن تيميّة إلى هذه السّمة في الشّخصية الإنسانية، بقوله: "فحيوانية الإنسان ونطقه، كل منهما فيه ما يشترك مع الحيوان فيه، وفيه ما يختص به عن سائر الحيوان."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٩/ ٦٢)

وحول سمة البيان، قال: "وذلك أن الله علّم الإنسان البيان، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن، ١-٤)، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق، ٥)، والبيان: بيان القلب وبيان اللسان". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٩/ ٦٢).

وما استنبطه الباحث من منظومة سماتية للشخصية الإنسانية عند ابن تيمية، هو عملية اجتهادية مبناها على تحديد السمات الثابتة للإنسان كما يمكن أن تستجلى من نصوص الشريعة التي اهتمت بالحديث عن الإنسان باعتباره المكلف في خلافة الأرض، وبحمل الأمانة، وبالتالي، فجملة هذه السمات تكتسب مصداقيتها من مصدريتها الربانية، فالله منزل الوحي وهو خالق الإنسان، وهو الأعلم بصفات خلقه.

وهذا الاتجاه في فهم الشخصية الإنسانية عند ابن تيمية من خلال منظور السمات، هو اتجاه معتبر في الدراسات النفسية الغربية والإسلامية فهناك نظريات غربية عدّة في فهم الشخصية، ومن بينها "نظرية السمات". والتي يمثلها كل من جوردن ألبورت وريموند كاتل، وتعدّ هذه النظرية أنّ السمة هي العنصر الأساسي في فهم الشخصية وبنائها، وهي اتجاه استجابي عريض ودائمي نسبياً، وترى أنّ هناك سمات مشتركة يتسم بها الأفراد جميعاً وسمات فردية لا تتوافر إلا لدى فرد معين، وأنّ السمات هي نتاج للعوامل البيئية والوراثية، ولها تصنيفاتها وأنواعها في نظريتهم. (السرخي، ٢٠٠٢، ١١١-١٢٦).

ومن الدراسات النفسية الإسلامية التي ركزت على هذا الاتجاه في فهم الشخصية الإنسانية، دراسة نجاتي عن علم النفس في القرآن حيث أكدت بأنه "قد جاء في القرآن وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامّة التي تميّز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله، كما جاء فيه أيضا وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تتميز ببعض السمات الرئيسة" (نجاتي، ١٩٨٢، ١٩٩).ودراسة إسماعيل عن الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي، حيث عرضت لمفهوم الشخصية الإنسانية عند كل من ابن مسكوية وابن حزم من منظور سماتي (إسماعيل، ٢٠٠١، ٦٥، ١٥)، كما أشارت بعض الدراسات إلى جملة من سمات الشخصية التي أوردها الباحث عند ابن تيمية، مثل: سمات: العقل والشجاعة والسخاء، وحيوان، ومخلوق ومربوب والفطرية وغيرها. (الشيباني، ١٩٨٢، ٩٣- ١١٥) (الغامدي، ٢٠٠٣، ٥٣٠- ٥٣١).

السّمات الكبرى الايجابية والسّلبية وفروعهما

بعد ما تقدم من عرض للسمات العامة للشخصية الإنسانية، يمكن – استمرارا لخط السّمات ولمزيد من وضوح الصورة – أنْ نميز تصنيفاً لسمات الشّخصية عند ابن تيميّة، يظهر بوجود سمات كبرى وأخرى فرعية وسمات ايجابية وأخرى سلبية.

وأهم هذه السّمات الكبرى الإيجابية: الشجاعة، والسماحة، والعدل، والجود والسخاء، والصدق، والصبر والكرم، والعلم. يقول ابن تيميّة: "فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم، لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا بها، ولهذا فإن جميعهم يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إنّ ذلك عامة ما يمدح به الشعراء ممدوحيهم، في شعرهم، والقضايا التي يتفق عليها بني آدم لا تكون إلا حقاً كاتفاقهم على مدح الصدق، والعدل"،(ابن تيمية،٢، ١٩٨٩/٢٦٣) وابن تيمية في ذلك يؤكد توافق مقاصد الشرع ومطالبه ودعوته مع ما تذهب إليه النفوس السليمة والعقول الصحيحة مما به صلاحها، "ولّما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولّى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولّى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (التوبة ٣٨،٣٩)، وقال: ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة الحديد، ١٠) وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله، و مدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشجاعة والسماحة، وملاك الشجاعة: الصبر، الذي يتضمن قوة القلب وثباته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال٤٥، ٤٦)، ثم يبين مفهوم سمة الشجاعة بقولة: "والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، إنما هي قوة القلب وثباته. فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته، "كما ويؤكد على وسطية السّمة واعتدالها، بقوله: "والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد".

ابن تيمية، ١٩٨٩، ٢/ ٢٦٩-٢٧١).

وعلى هرم السّمات السّلبية الكبرى، تقع سمتا: الشح والحسد في أعلاه، بحسب رؤية ابن تيميّة، كما يلحظ ذلك المتتبع لآرائه، كما تضاف إليها كذلك سمات كبرى منها: الجبن، والهوى، والغرور، والبخل وغيرها مما قد يكون أيضا فروعا لها. يقول ابن تيميّة: "وأمّا "الشّحّ المطاع"، فقد ذكرنا أن مفسدته عائدة إلى منع الخير، وتحقيق معنى الشحّ، أنه: شدّة المنع التي تقوم في النفس كما يقال: شحيح بدينه، وضنين بدينه، فهو خلق في النفس، والبخل من فروعه، كما في الصحيحين[١٧] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إياكم والشحّ، فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا)، وكذلك في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقول في طوافه: رب قني شحّ نفسي، فقيل له: ما أكثر ما تستعيذ من ذلك فقال: إذا وقيت شح نفسي، وقيت الظلم والبخل والقطيعة، أو كما قال، ولهذا بيّن الكتاب والسنة أنّ الشحّ والحسد من جنس واحد، فإن الحاسد يكره عطاء غيره، والباخل لا يحب عطاء نفسه"، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ (التغابن، ١٧) فإن الشح أصل البخل وأصل الحسد، وهو ضيق النفس وعدم إرادتها وكراهتها للخير على الغير، فيتولد عن ذلك اقتناعه من النفع، وهو البخل وإضرار المنعم عليه وهو الظلم، وإذا كان في الأقارب كان قطيعة"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٨/ ٢٣٣-٢٣٤) وأضاف معلقاً على الآية المتقدمة: "فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه، والشحيح: الذي لا يحب فعل الخير، والذي يضر نفسه، ويكره النعمة على غيره". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/ ٣٣٥).

وفي تقريره للسّمات الكبرى وفروعها – وهنا السّلبية – يقول: "والبخل جنس تحته أنواع: كبائر وغير كبائر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (آل عمران، ١٨٠)، وقال تعالى: ﴿مَن يَبْخَلْ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (محمد، ٣٨)، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون، ٤-٧)، وكثير من الآتي في القرآن من الأمر بالإيتاء والإعطاء وذمّ من ترك ذلك كله ذمّ للبخل.(ابن تيمية، ٢، ١٩٨٩/ ٢٦٦-٢٦٨) وقال أيضاً في سمة الجبْن السّلبية وفروعها: "وكذلك ذمّه (الله تعالى) للجبن كثير، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ

(١٧) مسلم، الصحيح، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ح رقم (٤٦٧٥).

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأنفال، ١٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ (محمد، ٢٠) .وما في القرآن من الحضّ على الجهاد والترغيب فيه، وذمّ الناكلين عنه والتاركين له، كلّه ذمّ للجبن". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢/ ٢٦٨- ٢٦٩)

ويمكن تصنيف بعض السّمات على أنّها سمات خاصة، تخص بعض الشخصيات الإنسانية بعينها، كتلك السّمات المتعلقة بشخصية آدم عليه السلام، يقول ابن تيميّة : "وأما الذوات فإن ذات آدم خلقها الله بيده، وخلقها الله على صورته، ونفخ فيه من روحه، ولم يثبت هذا لشيء من الذوات "،(ابن تيمية، ١٩٨٠ ، ٣٤٧/٤) "وأن الله سبحانه علّم آدم الأسماء كلّها"(ابن تيمية، ١٩٨٠ ، ٥٨/٩) وكذلك في إشارات عديدة لابن تيميّة(ابن تيمية، ١٩٨٠ ، ٢٢/١).

ثانياً: قوى الشّخصية الإنسانية

يجد الباحث في فكر ابن تيميّة المتصل بالإنسان (الشّخصية)، آراءً له في توصيف شخصيته وطبيعته، تجتمع تحت ما يمكن أن يسمىّ " قوى الشّخصية الإنسانية "، حيث يشير في عديد من المواضع إلى وجود أشكال من هذه القوى ، منها: القوة النظرية والقوة العملية وقوى باطنة وقوى ظاهرة، وقوة الإرادة والشعور، وقوة العلم والقدرة والاعتقاد وقوة العقل والغضب والشهوة ، وقوة القابلية والاستعداد .

ولا شك أنّ فهم مثل هذه القوى، وإثباتها، والانطلاق منها، واعتبارها وتحليلها ، مما يساعد وبشكل عميق في الفهم القريب والتصور الشامل والنظرة الواقعية للشخصية بشكل عام، وعند ابن تيميّة بشكل خاص في إطار رسم معالم لنظريته في الشّخصية، وفيما يأتي بعض أقواله التي تضمنت هذا الجانب .يقول ابن تيميّة : "وقد ذكر القرآن صلاح القوة النظرية العلميّة، والقوة الإرادية العلمية، في غير موضع، كقوله (تعالى): ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ التوبة، ٣٣) فالهدى كمال العلم، ودين الحق كمال العمل." (ابن تيمية، ١٩٨٠ ، ٥٩/٢) ويقول في قوى الشّخصية الإنسانية الباطنة والظاهرة: "والقلب له قوتان: العلم، والقصد، كما أنّ للبدن (قوتان) الحسّ، والحركة الإرادية"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٨/ ١٦٤) وقد أشار في موضع آخر كذلك إلى أن للإنسان (الشّخصية) أربع قوى : قوة العلم وقوة القدرة ، وقوة الاعتقاد وقوة الإرادة .(ابن تيمية، ١٤، ١٩٨٠/ ٢١٩) من كون الإنسان (الشّخصية)، يتصف بالفقر إلى الله سبحانه وتعالى، تفرّد في رسم السّمات الحقيقية للشخصية الإنسانية .

وفي وصف قوة التصوّر في الشّخصية الإنسانية ومنازلها الظاهر والباطنة، يقول : "إن الموجودات المتصوّرة ، إما أن يتصورها الإنسان بحواسّه الظاهرة

كالطعم واللون والريح والأجسام التي تحمل هذه الصفات، أو الباطنة كالجوع والحب والبغض والفرح والحزن واللّذة والألم والإرادة والكراهة وأمثال ذلك. "(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٨٧/٩) وفي إشارته إلى قوة الإرادة وتفاعلها مع قوة الشعور، يقول: "فالنفس لها قوة الإرادة مع الشعور، وهما متلازمان. وهي تقوم بمرادها لا بمجرد ما تشعر به، فإنها تشعر بالخير والشر، والنافع والضار، لكن لا يجوز أن يكون مرادها ومحبوبها إلا ما يصلحها وينفعها." (ابن تيمية، ١٩٨٥، ١٢٣).

ويرى ابن تيميّة أنّ هناك ثلاث قوى أساسية وكبرى في الشّخصية الإنسانية[١٨]، لها فيها الأثر البالغ والدور الفعّال، وخاصة في تنميطها. يقول ابن تيميّة: إنّ " قوى الإنسان ثلاث قوة العقل، وقوة الشهوة. فأعلاها القوة العقلية — التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب، وتشركه فيها الملائكة، ثمّ القوّة الغضبية التي فيها دفع المضرّة، ثمّ القوة الشهوية التي فيها جلب المنفعة ."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٥/ ٤٢٩، ٤٢٨) ويقول في وصف طبيعة العلاقة بين هذه القوى الكبرى والسّمات الكبرى للشخصية الإنسانية: "باعتبار هذه القوى كانت الفضائل ثلاثاً: فضيلة العقل، والعلم، والإيمان: التي هي كمال القوة المنطقية، وفضيلة الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية، وكمال الشجاعة هو الحلم. كما قال صلى الله عليه وسلم[١٩]: (ليس الشديد بالصرعة، وإنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، والحلم والكرم ملزوزان في قرّن، كما أنّ كمال القوة الشهوية العفّة، فإذا كان الكريم عفيفاً والسخي حليماً اعتدل الأمر"، ويتابع ابن تيميّة تفصيله هذا بقوله: "وفضيلة السخاء هي كمال القوة الطلبية الحبية، فإن السخاء يصدر عن اللين والسهولة ورطوبة الخلق، كما تصدر الشجاعة عن القوة والصعوبة ويبْس الخلق، فالقوة الغضبية هي قوة النصر، والقوة الشهوية قوة الرزق، وهما المذكوران في قوله

(١٨) بالنسبة لآراء الفلاسفة حول قوى النفس؛ فالنفس عند أرسطو تنقسم قواها بحسب وظائفها؛ فهناك النفس النامية. ووظيفتها النمو والتغذية، ولها ثلاثة قوى، هي: القوة الغاذية والقوة المنمية والقوة المولدة، والنفس الحاسّة وهي القوّة التي بها يتم إدراك المحسوسات، والنفس الناطقة وهي العقل الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان.(صليبا، ١٩٧٣، ٧٩- ٨٠)(كرم، ١٩٨١، ١٥٦- ١٦٦) وعند أفلاطون للنفس الإنسانية ثلاثة قوى: هي: القوة الشهوانية. ومهمتها رئاسة الوظائف الغذائية والجنسية، والقوة الغضبية ومهمتها حفظ كرامة الفرد، والقوة العاقلة، ومهمتها إدراك الحقيقة (صليبا، ١٩٧٣، ٤٥)، وعند ابن سينا، قوى النفس بحسب نوعها، فالنفس النباتية لها ثلاث قوى. هي: القوة الغاذية، والقوة المنمية، والقوة المولدة، والنفس= = الحيوانية لها قوتان: المحركة والمدركة، والنفس الناطقة لها القوة العاملة والقوة العالمة (ملاعثمان، ١٩٨٨، ١٢٢- ١٢٦) (ربيع، ١٩٧٣، ٢٩٧)، وعند الفارابي، قوى النفس هي: القوة الغاذية والقوة الحاسة والقوة المتخيلة والقوة الناطقة.(عاتي، ١٩٩٣، ٧١١- ١٢١).

(١٩) البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح رقم (٥٦٤٩).

(تعالى): ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ (قريش، ٤)، والرزق والنصر مقترنان في الكتاب والسنة، وكلام الناس كثيراً، أما الفضيلة الرابعة التي يقال لها العدالة فهي صفة منتظمة للثلاث وهو الاعتدال فيها[٢٠]، وهذه الثلاث الأخيرات هي الأخلاق العملية".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٥/ ٤٣٢- ٤٣٣).

ثالثاً: السّمات وتفاعلها مع الموقف

لا يقدّم ابن تيميّة السّمات كقطع ألواح مركبة على جدار أو في جسم، مفصولة مجزأة في أصلها، محدودة في دورها، فمثل هذا الفهم للسّمات لا يصدق على الشّخصية الإنسانية وطبيعتها التي خلقها الله عز وجل عليها، فهو يقدّم شخصية آليّة لا إنسانية، وابن تيميّة كان الأبعد من هذا الفهم، إذ هو يقدّم السّمات التي بها تفهم الشّخصية، وتظهر صفتها الإنسانية، وغايتها الربانية، وفاعليتها الجبلية والكسبية، ذلك أنه يصدر في تصوّره للشخصية الإنسانية من النصوص الشرعية الثابتة والصادقة في وصف الطبيعة الإنسانية، ومن النظرة الواقعية إليها، وهناك عديد من المواضع التي يمكن للباحث في فكر ابن تيميّة في الشّخصية أن يؤكّد من خلالها نظرته إلى أن الشّخصية ليست مجرد قطع من السّمات، بل هي سمات متفاعلة معاً من جهة، ومتفاعلة مع الموقف من جهة أخرى، ولعلّ فيما تقدّم ذكره من العلاقة بين قوى الشّخصية وسماتها ما يبرهن على ذلك، وندّعم ذلك بالمزيد من أقواله فيما يأتي: يقول ابن تيميّة في تفاعل سمتي "الهمّام" و"الحارث" مع الموقف: " وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم، بل الإنسان المنفرد لا بد له من فعل وترك، فإن الإنسان همّام حارث، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[٢١]: (أصدق الأسماء حارث وهمّام)، وهو معنى قولهم متحرك بالإرادات، فإذا كان له إرادة فهو متحرك بها ولا بد

(٢٠) هناك من الفلاسفة – منهم أفلاطون- من يجعل لقوى النفس فضائل تقابلها؛ فالقوة العقلية تقابلها الحكمة (العلم) والغضبية تقابلها الشجاعة، والشهوية يقابلها العفة. وبالتوسط فيها يكون العدل.لذا فكمال النفس الإنسانية يكون بالفضائل الأربعة: العفة والشجاعة والعلم والعدل(الحفني، ١٩٩٩، ١/ ١٦١) (صليبا، ١٩٧٣ ٤٥- ٤٦). ولكن من وجهة نظر ابن تيمية فإنّ الفضائل الأربعة التي يذكرها الفلاسفة (العفة والشجاعة والعدل والعلم) رغم أه لا بد منها في كمال النفس وصلاحها، لكنهم لم يحدّوا ما يحتاج إليه منها بحدّ يبين ما تحصل به النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، والأنبياء هم من بيّن ذلك. وأنّ العلم الذي هو أصل السعادة وهو العلم بالله، كانوا من أبعد الطوائف عنه، كما أنّ الصفة اللازمة للنفس الناطقة التي هي الحبّ والإرادة لم يتكلموا في كمالها ولا صلاحها، فإنّ الشهوة والغضب متعلقان بالبدن بخلاف حبّ النفس لمعبودها وإلهها. لذلك عند ابن تيمية، فإنّ فضيلة العقل والعلم والإيمان هي كمال القوة المنطقية (الغامدي، ٢٠٠٣، ٥٢٣- ٥٢٥، ٥٣٠- ٥٥١).

(٢١) سبق تخريجه، ص٢٦

أن يعرف ما يريده، هل هو نافع له أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ١١٤) فالإنسان إذن" لا بد له من حرث وهو العمل والحركة والإرادة، ولا بد له أن يهمّ بالأمور، منها ما يهمّ به ويفعله، ومنها ما يهم به ولا يفعله، فإن كان المراد موافقاً لمصلحته كانت أفراده حسنة محمودة، وأن كان مخالفاً لمصلحته كانت الإرادة سيئة مذمومة، كمن يريد ما يضر عقله ونفسه وبدنه". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٨/ ٤٥٧).

وفي تفاعل السّمات الإيجابية والسلبية مع الموقف، يقول ابن تيميّة: " وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، لما سأله الأعراب حتى اضطروه إلى سمره – شجرة – فتعلقت بردائه، فالتفت إليهم، وقال: والذي نفسي بيده: لو أن عندي عدد من هذه العضة –الشجرة – نِعما لقسَمته عليكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً)[٢٢]، لكن يتنوع ذلك بتنوع المقاصد والصفات، فإنّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولهذا جاء الكتاب والسنة بذم البخل والجبن، ومدح الشجاعة والسماحة في سبيل الله، دون ما ليس في سبيل الله".(ابن تيمية، ١٩٨٩، ٢/ ٢٦٤، ٢٦٣).

وفي مزيد من التركيز على تفاعل السّمات السّلبية للشخصية، يقول ابن تيميّة :"فهذا الشحّ الذي هو شدة حرص النفس يوجب البخل بمنع ما هو عليه، والظلم بأخذ مال الغير، ويوجب قطيعة الرحم، ويوجب الحسد، وهو: كراهة ما اختص به الغير، والحسد فيه بخل وظلم، فإنه بخل بما أعطيه غيره، وظلمه بطلب زوال ذلك عنه."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٨/ ١١٤).

وكذلك في تفاعل السّمات الإيجابية، يفصّل بقوله: "والله سبحانه حمد الشجاعة والسماحة في سبيله، كما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[٢٣]، وقد قال سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال، ٣٩)، وذلك أن هذا هو المقصود الذي خلق الله الخلق له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات) ، فكلّ ما كان لأجل الغاية التي خلق لها كان محموداً عند الله، وهو الذي يبقى لصاحبه وينفعه الله به."(ابن تيمية، ١٩٨٩، ٢/ ٢٨٤).

وقال في تفاعل سمتي القوّة والأمانة مع الموقف: إنّ "اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل،

---

(٢٢) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب الشجاعة، ح رقم(٢٦٠٩).

(٢٣) مسلم، الصحيح، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح رقم (٣٥٢٥).

ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم أشكوا إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعيّن رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدّم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضرراً فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع – وإن كان فيه فجور – على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أميناً، كما سئل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيّهما يغزى؟ فقال: أما الفاجرالقوى، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، أمّا الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٨/ ٢٥٤-٢٥٥).

أنماط الشخصية ومعايير تصنيفها

وفي تطبيق لرؤية ابن تيميّة للشخصية بناء على منظور السّمات[٢٤] وتفاعلاتها يلحظ الباحث أنه يصنف الشّخصية الإنسانية، بناءً على المعيار العقدي (الإيماني) المنزل من عند الله تعالى، إلى ثلاثة أصناف(أنماط) عامة؛ هي: الشّخصية المؤمنة والشّخصية الكافرة والشّخصية المنافقة. ثمّ يضيف صنفاً رابعاً يقع في دائرة التصنيف المتقدّم، بمعنى ليس نمطاً جديداً بصورة لا تتفق أو تجتمع أو تتشارك مع الأصناف المتقدّمة، إنّما هو يدور في رحى الصنف الأول والثالث، ويمكن أن يُطلق على شخصية هذا الصنف الرابع: الشّخصية المركبة (إيمان- نفاق). يقول ابن تيميّة: "..وقال (تعالى) في صدر البقرة – بعد أن صنف الخلق ثلاثة أصناف: مؤمن، كافر، ومنافق"، (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢/ ٧) وقال مفصلاً في موضع آخر: "إنّ الله تعالى منذ أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وأعزّه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام: قسماً مؤمنين، وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً، وقسماً كفاراً، وهم الذين أظهروا الكفر به، وقسماً منافقين، وهم الذين آمنوا ظاهراً، لا باطناً".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/ ٤٣٣).

ويقرر ابن تيميّة قاعدة عامة في أصناف الشّخصية، وهي: أنّ كل صنف من أصناف الشّخصية يتسم بسمات كبرى وأخرى فرعية، فهو يقول بعد أن أورد التصنيف السابق: "وكلّ واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة، وكما فسّره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشعبه[٢٥]". (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/ ٤٣٣-٤٣٤).

---

(٢٤) من نظريات الشخصية في علم النفس، نظرية السمات. وقد سبقت الإشارة إليها عند نهاية الحديث عن السمات العامة للشخصية الإنسانية في هذا المبحث، ص٢٨.

(٢٥) الحديث هو: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).مسلم، كتاب الإيمان، ح رقم(٥٨).

وفي تأكيده وجود الصنف الرابع من أصناف الشّخصية، وهو الشّخصية المركبة (إيمان- نفاق) يورد حديث حذيفه في ذلك[٢٦]، فيقول: " وعن علي – أو حذيفة – رضي الله عنهما – قال: القلوب " أربعة " : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذاك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان: مادة تمدّه الإيمان، ومادة تمدّه النفاق، فأولئك قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٠٦/١٠) فهذه الشّخصية المركّبة، تجتمع فيها سمات الشّخصية المؤمنة وسمات الشّخصية المنافقة ، وابن تيميّة لا يرى امتناع ذلك ، بل يأخذ به ويؤيده بالأدلة ، فهو يقول :"فقد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق، وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر، كما في الصحيحين "عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[٢٧]، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)[٢٨]".(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٥٢٠/٧) .

إذن، فهذا الصنف من الشّخصية تجتمع فيه السّمات المتضادة أو ترد عليه، فأمر وارد أن يجتمع " في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنّة وبدعة."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٠٩/٢٨) ولابن تيميّة تصنيف لأنماط الشّخصية الإنسانية بحسب معيار آخر غير المعيار العقدي، ولكنه يتفق معه في النتيجة ، ويقدّم إضاءة جديدة في فهم الشّخصية ، وتأكيداً قوياً في صحة التنميط العقدي، وهذا المعيار هو بحسب القوى الإنسانية ، والتي هي عنده ثلاث : قوة العقل ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، فأعلاها القوة العقلية ، ثم القوة الغصبية ، ثم القوة الشهوية . (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤٢٨/١٥-٤٢٩) وقد سبق ذكرهما والحديث عنهما .

ويرى ابن تيميّة أنّه " باعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني، وهم: العرب، والروم، والفرس[٢٩]، فإنّ هذه الأمم

---

(٢٦) سبق الكلام على الحديث وروايته.

(٢٧) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح رقم (٣٣).

(٢٨) مسلم، الصحيح، باب ذم من مات ولم يغزو، ح رقم (٣٥٣٣).

(٢٩) في الفكر الفلسفي هناك من ذهب أيضاً إلى تقسيم أو تصنيف الناس باعتبار قوى النفس الإنسانية كما نجد عند أفلاطون، حيث ربط انقسام النفس الإنسانية إلى ثلاثة نفوس(قوى) بانقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات – في المدينة الفاضلة- ، فالنفس الناطقة تقابلها طبقة الفلاسفة (الحكام)، والنفس الغضبية تقابلها طبقة الجند، والنفس الشهوانية تقابلها طبقة العمال. وكذلك بين قوى النفس ووظائف المدينة تناسباً، فوظائف المدينة أو الدولة الثلاث: الإدارة والدفاع والإنتاج. تقابلها =

هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية، وهم سكان وسط الأرض طولاً وعرضاً، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع، فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم: عرب من الإعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خاصّة القوة المنطقية، وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوها واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم، فإنه يقال رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته، وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة، واشتق اسمها من ذلك، فقيل فرس، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه، ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها، ولهذا كانت العرب أفضل الأمم، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع، وتليها الروم."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٥/٤٣١-٤٣٢).

وبالنسبة لاتفاق هذا المعيار مع المعيار العقدي المتقدّم، يرى ابن تيميّة كذلك، بأنه "وباعتبار القوى الثلاث – السابقة – كانت الأمم الثلاث: المسلمون واليهود والنصارى، فإن المسلمين فيهم العقل والعلم والاعتدال في الأمور، فإن معجزة نبيهم هي علم الله وكلامه، وهم الأمة الوسط، وأما اليهود فأضعفت القوة الشهوية فيهم، حتى حرم عليهم من المطاعم والملابس ما لم يحرم على غيرهم، وأمروا من الشدة والقوة بما أمروا ومعاصيهم غالبها من باب القسوة والشدة لا من باب الشهوة، والنصارى أضعفت فيهم القوّة الغضبية فنهوا عن الانتقام والانتصار، ولم تضعف فيهم القوة الشهوية، فلم يحرم عليهم من المطاعم ما حرم على من قبلهم، بل أحل لهم بعض الذي حرم عليهم، ويظهر فيهم من الأكل والشرب والشهوات ما لم يظهر في اليهود، وفيهم من الرقة والرأفة والرحمة ما ليس في اليهود، فغالب معاصيهم من باب الشهوات لا من باب الغضب."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ١٥/٤٣٣-٤٣٤).

ثبات الشخصية

ولا بد من التأكيد مرة أخرى، أننا لسنا أمام وصفات جامدة غير قابلة للتحرك، بل هناك حركة أفقية وعمودية مرهونة بأسبابها، فكما يقول ابن تيميّة فإن " النفاق كالكفر نفاق دون نفاق، ولهذا كثير ما يقال: كفر ينقل عن الملّة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر، كما يقال الشرك شركان: أصغر وأكبر."(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/٥٢٤).

ومن الكلام المتقدّم في هذا المبحث وما سبق وخاصّة في مبحث السّمات، لا يمكن بحال أن يفهم من كلام ابن تيميّة أن الشّخصية الإنسانية ذات صبغة واحدة لا يمكن تحت أيّ مؤثر أن تنتقل عنه، ولا بالمقابل أنها ذات صبغة متقلبة غير مستقرّة، فهناك

= قوى النفس الثلاث: الناطقة والغضبية والشهوانية. (صليبا، ١٩٧٣، ٤٦) (ربيع، ١٩٩٣، ٧٨) (أكرم، ١٩٨١، ١٠٠- ١٠١).

معيار عقدي ، وهناك سمات كبرى .

ولا شك أنّ لكلّ نمط من أنماط الشّخصية سماته التي تميزه عن غيره وأكثر ما يعنينا في هذا المبحث، الأنماط الرئيسة الثلاثة وسماتها: الشّخصية المؤمنة، والشّخصية الكافرة والشّخصية المنافقة، والمتتبع لكلام ابن تيميّة قد يجد كثيراً من السّمات الخاصة بها، ونثبت بعضاً منها في خاتمة هذا المبحث، تقريراً لأفكاره الواردة ؛ فمن سمات الشّخصية المؤمنة :(ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢/٥، ٦) مهتدية، وبصيرة، وحيّة، ومنورة، وكلّيه، وفاعلة، واليقين، والطمأنينة، والعلم والعمل والعبادة، والإخلاص، والاستغناء والاستعفاف، والخشوع ، والحنيفية، والمحبة، والتوكل، والصبر ، والجهاد. ومن سمات الشّخصية المنافقة (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٣/ ٤٣٤-٤٤٠): تظهر خلاف ما تبطن ، مريضة. ومن سمات الشخصية الكافرة: العمى، ميته، مظلمة (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٧/٥٢٤).

لذا فابن تيميّة، يرى الثبات النسبي في أنماط الشّخصية، ولا يرى سريان حالة الجمود، فالشّخصية الإنسانية، بحسّب المعيار العقدي، أصناف ثلاثة كبرى، وهذه الأصناف ليست على مستوى واحد، بل هي مراتب، فمثلاً الشّخصية المؤمنة – كما سيأتي – مراتب ثلاثة، و كذلك هناك مراتب في الشّخصية الكافرة والمنافقة، وما يؤكد هذا الفهم ، الشّخصية المركبة وخصائصها كما تقدم ذكره، يقول ابن تيميّة بأن " الإنسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر وإن كان معه إيمان." (ابن تيمية، ١٩٨٠، ١/١٠٥) وكما الادرك الاسفل من النار "ومنه ما هو أصغر، وهو "النفاق في الأعمال ونحوها " مثل أن يكذب إذا حدث" (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٢٨/٤٣٣-٤٣٥) . ويمكن ملاحظةُ تطبيقٍ للثبات النسبي للشخصية وعدم جمودها من خلال تصنيف ابن تيميّة للشخصية المؤمنة نفسها حيث يصنفها إلى ثلاثة أصناف أو ثلاث مراتب، معتمداً على النصوص الشرعية، وخاصة الآية الكريمة، والتي يستدل بها، وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فاطر، ٣٢)، فقد قال ابن تيميّة معلقاً على الآية الكريمة: " فقد قسم سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاها "ثلاثة أصناف" : ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وهؤلاء ينطبقون على الطبقات الثلاثة المذكورة في حديث جبريل[٣٠] "الإسلام"

---

(٣٠) ونص الحديث في سؤال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم:(قال أخبرني عن الإسلام، قال:أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن =بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، قال: أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). مسلم، كتاب الإيمان،ح رقم(١).

و"الإيمان" و "الإحسان". " (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٤٨٥/٧)

وقد قدّم ابن تيميّة تعريفاً بهذه الأصناف أو المراتب الثلاثة للشخصية المؤمنة، بقوله: " والناس فيها (أعمال القلوب) على"ثلاث درجات"، كما هم في أعمال الأبدان على "ثلاث درجات": ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، فالظالم لنفسه: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: المؤدّي الواجبات والتارك المحرمات، والسابق بالخيرات: المتقرب بما يقدر من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه، وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذين ذكرهم في كتابه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (يونس، ٦٢-٦٣) فحدّ أولياء الله هم المؤمنون المتقون، ولكن ذلك ينقسم إلى " "عام" وهم المقتصدون و"خاص" وهم السابقون، وان كان السابقون هم أعلى درجات. " (ابن تيمية، ١٩٨٠، ٦/٧-١١).

ولا شك أنّ هذا الفهم لسمات الشخصية الإنسانية وتفاعلها وثباتها النسبي، يقدّم قناعات مهمّة للنفس الإنسانية ذات السّلوكات السّلبية بإمكان تجاوزها والارتقاء للأفضل، كما يقدّم تأكيدات مهمّة للتربويين ترسم لهم منهجية علمية قابلة للتطبيق في الميدان التربوي في سبيل بناء جيل يتصف بالتصورات الإيجابية المعتدلة، وبالسلوكات الاجتماعية المتزنة.

المراجع

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموع الفتاوى*. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم. ١٩٨٠م. *درء تعارض العقل والنقل*. دار الكنوز الأدبية، ١٩٨٤. *اقتضاء الصراط المستقيم*. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٩٤م. *الاستقامة*. ط٢. ١٩٨٩م. *النبوّات*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. *الإصابة في تمييز الصحابة*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

إسماعيل، نبيه إبراهيم. *من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي*. القاهرة: إيتراك للنشر، ٢٠٠١م.

ابن قيم الجوزية. *الروح*. بغداد: مطبعة الديواني، ١٩٧٥م.

الألباني، محمد ناصر الدين. *سلسلة الأحاديث الصحيحة*. ط٢. الأردن: المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤ م

التل، شادية أحمد. *علم النفس التربوي في الإسلام*. عمان: دار النفائس، ٢٠٠٥م.

توفيق، محمد عزّ الدين. *التأصيل الإسلامي للدراسات الإسلامية*. القاهرة: دار السلام، ١٩٩٨م

جابر، جابر عبد الحميد. *نظريات الشخصية*. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٦م.

جوهري، محمد ربيع. *بحوث نفسية في ضوء العقيدة الإسلامية*. القاهرة: دار الطباعة، ١٩٨٤م

الحفني، عبد المنعم. *موسوعة الفلسفة والفلاسفة*. ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.

خليل، عماد الدين. *مدخل إلى إسلامية المعرفة*. ط٢. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.

خوجلي، هشام عثمان. *علم نفس النمو*. جدّة: الدار السعودية، ٢٠٠١م.

ربيع، محمد شحاته. *التراث النفسي عند علماء المسلمين*. الاسكندرية: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

زريق، معروف. *علم النفس الإسلامي*. ط٢. دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

السرخي، إبراهيم محمد. *السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي*، ٢٠٠٢م.

الشيباني، محمد التومي. *مقدّمة في الفلسفة الإسلامية*. الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.

صالح، قاسم حسين. *نظريات معاصرة في علم النفس*. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ١٩٩٨م

صليبا، جميل. *تاريخ الفلسفة العربية*. ط٢.بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م.

الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

طه، الزبير بشير. *علم النفس في التراث العربي الإسلامي*. الإمارات: جامعة الإمارات، ١٩٩٧م.

طه، فرج عبد القادر. *أصول علم النفس الحديث*. القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠م.

عاقي، إبراهيم. *الإنسان في الفلسفة الإسلامية: نموذج الفارابي*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

عبد العزيز، مفتاح محمد. *القرآن وعلم النفس*. بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٧م.

عرسان، ماجد الكيلاني. *الفكر التربوي عند ابن تيمية*. عمان: مكتبة الكتاب الحديث، ١٩٨٥م.

عفيفي، محمد عبد الله. *النظرية الخلقية عند ابن تيمية*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م.

العلواني، طه جابر. *إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم*. دار الهداية، ١٩٩٥م.

العيسوي، عبد الرحمن محمد. *نظريات الشخصية*.الاسكندرية: دار المعرفة الجامعة، ٢٠٠٢م

الغامدي، صالح بن عزم. *موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها*.الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٣م.

قطب، محمد. *دراسات في النفس الإنسانية*. ط١٠. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م.

الكردي، محمود السعيد. *أثر القرآن على منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية*. ليبيا: الدار الجماهيرية، ١٩٨٦م.

كرم، يوسف. *تاريخ الفلسفة اليونانية*. بيروت: دار القلم، ١٩٨١م.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي. *الوجيز في إسلامية المعرفة*. ١٩٨٧ م.

ملاّ عثمان، حسن؛ ومحمد خير. *ابن سينا والنفس الإنسانية*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

نجاتي، محمد عثمان. *الحديث النبوي وعلم النفس*. ط٤. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. *القرآن وعلم النفس*. *القاهرة*: دار الشروق، ١٩٨٢م. *الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين*. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م.

النحلاوي، عبد الرحمن. *أعلام التربية في تاريخ المسلمين (ابن تيمية)*. دمشق: دارالفكر، ١٩٨٦م.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. ط٥. الرياض: دار الندوة، ٢٠٠٣م.

The Humanistic Personality Structure, Limitations and Trais at Ibn Taimiah

Adnan Mustafa Khatatheh

Assistant Professor, Dept of Islamic Study College of Sharea
Yarmouk University, Irbed, Jordan

(Received 4/4/1428H; accepted for publication 5/9/1428H.)

Keywords: humanistic personality, Ibn Taimiah, Islamic Education.

Abstract The current study addressed the humanistic personality at Ibn Taimiah rgarding its traits, structure and limitations. The study address the topic through thre sections the first sections: the first section studied the human personality addressing the basic conceptnal elements, their semantic indicators and their core elements. The second section studies the limitation of human personality and the external and internal effects on this personality, the third section studied general trait of human personality, its strengths and reaction with situations , then its impact in stereotyping the personality and its development .The study concluded to results and recommendation.